المشرق
بيروت

كانون الاول ١٩٣٠

في النعمة : ٣

مفاعيل النعمة وموقفنا تجاهها

انا الكرمة وانتم الاغصان ، من يثبت فيَّ وانا فيه فهو يأتي بثمر كثير
(يوحنا ١٥ : ٥)

بقلم حضرة الاب ا . س . مرجي الدومنيكي

النعمة عون فائق الطبيعة يهبه الله الانسان ، فيمكنه العيش في الارض ، عيشة ملائمة دعوته السماوية ، وهي رؤيته ، عز وجل ، ومحبته والتمتع بحياته مدى الابدية . على ان في البشرية ينبوع حياةٍ استمدت هي ولا تزال تستمد منه قواها وخواصها . وهذه الحياة الطبيعية وما يتعلق بها قد اتتنا من الخالق بواسطة ابينا ، ورأس جنسنا الاول ، وهو آدم . بيد انه اذ كان بمعصيته قد صار سبباً لان ينقطع عنا مجرى الحياة العلوية ، التي كان الرب قد منحها له ولذريته ، ترحم الله علينا

فاقام لنا رأساً ثانياً ، وهو يسوع المسيح ، الكلمة المتجسد ، الذي اضحى لنا ينبوعاً فياضاً لجميع النعم التي نحن في حاجة اليها ، فاقتضى لنا ان ننضم الى هذا الرأس انضمام الاعضاء الجسدية الى رأسها لكي تجري في حياتنا النعم الالهية ، كما يجري الدم في عروق ابداننا . هذا ملخص ما رأيناه في المقالين السابقين .

على ان النعمة قوة ، ومن شأن القوة انها حيثما عبرت او فعلت فعلها ، ابقت لها اثرًا او مفعولًا . ولهذا فبعد ما درسنا ضرورة النعمة وينبوعها ، لنرَ ما هي الآثار او المفاعيل التي تتركها في نفوسنا ، ثم كيف يجب ان يكون موقفنا او تصرفنا نظرًا اليها .

* * *

اخص مفاعيل النعمة فينا مفعولان اولهما انها تفيض في نفسنا حياة جديدة فائقة حياتنا الطبيعية ؛ ومن هذه الحياة ينشأ ثلاث خواص ، او فضائل مفاضة تدعى الفضائل الالهية اي الايمان ، والرجاء ، والمحبة . وهي الهية من حيث مصدرها وهو الله راساً ؛ ومن حيث قوامها ، فانها لا تحوي شيئاً من الطبيعة كالفضائل الادبية ؛ ومن حيث موضوعها ، فان الباري عينه هو المعروف والمرجو والمحبوب بها بنوع فائق الطبيعة .

فالعطية الاولى اذن هي الايمان ، اي ذاك النور السموي الذي يرينا الحقائق الموحى بها من لدنه تعالى . ولذا فالنفس الحاصلة على النعمة يسطع فيها نور الله وتظهر لها الاشياء بمظهر جديد . فهي قريبة من الله ، وتراه احسن مرأى . وهذا ما عنى به الرب يسوع بقوله : « طوبى لانقياء القلب ، فانهم يعاينون الله . » مما دل على انهم مدعوون ليس لمشاهدته في الابدية وحسب ، بل منذ الآن يرونه روءية اكمل ، اي في تعاليم انجيله الطاهر وكنيسته المقدسة ، وحوادث التاريخ ، والاعمال العجيبة الناجمة عن قدرته .

يضاف الى الايمان فضيلة الرجاء ، تلك القوة التي تدفعنا الى الله تعالى ، وتنشئ فينا الاعتماد على مواعيده ، والثقة بافضال يسوع . وهذا ما يجعل النفس تقف حق الوقوف على حقيقة الحياة ، فتصرخ مع الرسول بولس قائلة : « ليس

لنا هنا مدينة باقية ، لكن نطلب الآتية . » اجل ان هذه الدنيا ملأى بالهموم والاكدار ، بيد ان مصائبها تزول . واما ما يعقبها من المجد فهو دائم الى الابد . « لان ضيقنا الحالي الخفيف ينشئ لنا ثقل مجد ابدياً لا حد لسموه . » ومن ثم فاحرِ بنا ان نستلي مع الرسول القائل : « اني راغب ان انحل فاكون مع المسيح ، وذلك افضل لي بكثير . » واذا اقبل أوان الحرب الروحية ، فالنفس تشعر بذاتها متذرعة بقوة فائقة للجهاد ، وآملة الظفر النهائي .

بعد الرجاء تأتي فضيلة المحبة ، تلك العطية المفاضة التي تصلنا بالله صلة بنوية ، فنجسر ان ندعوه باسم الثقة والرقة « ابانا » ، اي اننا لا نكتفي ان نخشاه كما يخشى القاضي العادل ، او ان نحترمه كما يحترم السيد الملك ، بل نسعى في ان نقرّب قلوبنا من قلبه ؛ فحينئذ تحسّ نفسنا ان قد نشأ بينها وبينه نوع من المساواة المتولدة من الصداقة .

هذا ما يصدر من حالة النعمة . اجل انها لامور غير منظورة بذاتها ، لكن يتحقق وجودها بقوة الافعال الناشئة عنها . اذ من ينبوعها يصدر ذاك اليقين الثابت الذي نلاحظه في القديسين ، وتلك التضحيات التي بها يحتقرون الدنيا ، ويلتهبون بمحبة الله الفائقة . من اي ينبوع يا ترى الّا من هذا الينبوع صدرت شجاعة اغناطيوس النوري الذي كان يترنم طرباً لحصوله على ذاك الشرف العظيم وهو ان يطحن حبًا بيسوع تحت انياب الوحوش الضارية ، كما تطحن الحنطة ؛ او اختطافات القديسة تريزية ، والقديسة كترينة السيانية ، في وسط التجارب والمحن القاسية ؟

نجد لهذا المفعول ، مفعول النعمة ، رمزًا في حادث من حوادث حياة السيد المسيح . فانه حين تجلّى على جبل طابور ، ظهر لاهوته هنيهة من خلال ناسوته ؛ فصار وجهه يلمع كالشمس ، واضحت ثيابه بيضاء كالثلج ؛ ثم سُمع صوت من السماء يقول : « هذا هو ابني الحبيب فله اسمعوا . » فشيء شبيه بهذا يحدث حين تجلّي النفس المسيحية ، اي وقتما ينزل الله فيسكن فيها بنعمته ، حينئذ تستنير بنور شمس الحق ، وتتوق اشد التوقان الى السماء ، ويشهد الرب بصوت ضميرها ، انها ابنته الحبيبة التي بها ارتضى .

ومن هنا يظهر ما يخوّله هذا المفعول للنفس من المجد الاثيل . لانه اذا كانت عظمة المرء متوقفة على التقرب من الله والتشبه به ، نجم ان الرجل الحاصل على هذه الخيرات وما يرافقها من الفضائل الادبية لهو اقرب من الرب. ومن ثم فهو امجد واسعد من الرجل الخالي منها . اجل لا بد في الشخص البارّ براً بشرياً طبيعياً من وجود بعض الاشعة من نور الله ، لكن ما اضألها وما انقصها ! اما في حالة النعمة ، فان النفس تجول في ميدان حياة الله عينها . فما يراه الله ، نحن نؤمن بـه ؛ وما يملكه الله ويتمتع به ، نحن نرجو الحصول عليه ؛ وما يحبه الله ، نحن نترعرع في حبه . فان كان الامر كذلك ، افليس هذا مجداً وسمواً فائقاً ؟

ومع هذا ، ماذا نسمع حولنا ؟ نسمع ابناء هذا الدهر يدّعون ، لجهلهم ، ان الحياة الفائقة الطبيعة انحطاط للانسان ، لانها تنزع منه عظمته الطبيعية ، وتسلب منه ما فيه من المجد . ولكن اذا كان ذلك صواباً ، اي اذا كان يعتبر نقصاً وانحطاطاً الحياة الفائقة الطبيعة المضافة الى الحياة الطبيعية ، دون ان تهدمها وتمحقها ، بل تزيدها كمالاً ؛ اذا كان ذلك حقاً ، لاضطررنا الى القول ، في الامور الطبيعية ، ان قمة البناء خلل في الاساس ، وان الزهرة نقص في ساق النبات ، وان الاجنحة معرقلة طيران الطائر . والحال ان هذا ضلال ، فكذا الشان في ذاك . اجل ان ابناء الظلام ، لعماوة عقولهم وتصلب قلوبهم ، يتهمون الحياة الروحية ، الا انهم لعاجزون عن هدم قوتها ومحو اثرها ، لانها معدة للاستمرار ساطعة بانوارها على البشرية .

المفعول الثاني للنعمة هو انها تلقي الخصب في اعمالنا ، فتجعلها مستحقة الاجر . وهنا يمكننا ان نسأل : ما هي قوة اعمالنا بذاتها نظراً الى الحياة الابدية ؟ فيجيبنا التعليم الكاثوليكي : انها كلا شيء . والسبب في ذلك انه لكي تستحق هذه الافعال مجد السماء يتحتم ان تكون بمناسبة هذه المكافأة السامية . فلو كان الله قد خلقنا لغاية طبيعية محضة ، او كان قد دعانا للتمتع به نظرياً ، او لرؤيته كما ترى الاشياء في مرآة ، لكان من طبيعة اعمالنا ان تصل الى هذا الحد . لكن لما كنا مدعوين للصعود الى العلاء ، فافعالنا خلو من

هذه المزية التي تفوق طورها . وكما ان الخلائق السفلى ، كالحيوانات ، لا تستطيع ان تبدي اعمالاً تفوق الحد الفاصل بينها وبين البشرية ، فافعالنا الادبية ، مهما كانت كاملة بشرياً ، لهي عاجزة عن تجاوز الحد الفاصل بينها وبين النظام الالهي ، اي الفائق الطبيعة ؛ ومن ثم فهي قاصرة عن ان تستأهل الاجر السماوي .

زد على هذا انه اذا كان من الامور الثابتة ان ليس من فضيلة ، كان في وسعها ، في حالة البرارة الاولى ، ان تبلغ الانسان غايته الابدية ، فما القول في اعماله ، وهو الآن في حالة السقوط التي ليست ازل درجة من النظام العلوي وحسب ، بل هي معاكسة له ، لا بل هي بالنسبة اليه كنسبة الموت الى الحياة . وكما ان الحياة الطبيعية لا يمكنها ان تخرج من جثة هامدة ، فالافعال المطاوبة للحياة الالهية ليست بقادرة على الصدور من نفسنا المصابة بموت الخطيئة الاصلية . وعليه فافعالنا بذاتها لا منفعة لها للحصول على المكافأة الابدية .

لكن هل يا ترى ان هذه الحالة صعبة هذه الصعوبة حتى انه يعدّ من قبيل المستحيل تلافيها ؟ او بعبارة اخرى ، هل نحن عاجزون كل العجز عن جعل اعمالنا تبلغنا السعادة ؟ الجواب ان كان هذا مستحيلاً على الانسان ، فلم يكن مستحيلاً عند الله . لان من شروط النظام ان يحصل المرء على الكمال بالاعمال ، ومن ثمّ على المكافأة . ضروري من الجهة الواحدة ، ان يقدّم الانسان بعض التقادم لله ؛ ومن الجهة الاخرى ، اذ كان بذاته غير قادر على تقديم ما يليق ، عوّض الله عن هذا التقصير ، وقد اتخذ لذلك وسيلة ، وهي النعمة ، حسب تعليم الكنيسة المقدسة .

فاذا كانت النفس عائشة عيشة النعمة ، وكانت اعمالها صالحة صلاحاً ادبياً ، اضحت ذات استحقاق لطلب الاجر . ولا عجب في ذلك لانه لمـّا كانت النعمة حياة الله فينا ، نجم انا لسنا وحدنا العاملين ، لكن الله العامل فينا ، كما يثبت ذلك الرسول المجتبى بقوله : « لست انا الحيّ ، لكن المسيح هو الحيّ فيَّ . » واذا كان ذلك كذلك ، فاية غرابة في ان الاعمال التي هي اعماله ، بنوع ما ، تستحق مكافأة الحياة . لان عدم المناسبة بين هذا الاجر واعمالنا

البشرية البحتة لا يعود له وجود . اذ ان اعمالنا بصيرورتها المية سماوية ، تضحي اهلاً لان ترقى بالاستحقاق الى السماء .

وهذا ما من شأنه ان يجعل في اطمئنان النفوسَ النقية التي يستولي عليها الفشل عند رؤيتها عجزها في العمل البشري ، اذ يخامرها الخوف مما عسى ان تكون قيمة جهدها الضعيف واعمالها الوضيعة ، امام العزة الصمدانية . بيد انها بنور الايمان تدرك ان ما يصدر من الله يليق به تعالى ، وانه ، عزَّ وجلَّ ، لا يمكنه ان يحرم من الاجر ذاك الذي يأتي اعمالاً هو ، سبحانه ، مبدؤها ومحركها .

وهذا ما يفهمنا تعس الكثيرين من المسيحيين الذين لا يبالون بالامور الدينية . فاننا نشاهد رجالاً ذوي فضل جدير بالاعتبار ، يقضون غالباً سنين طويلة في عمل الخير الطبيعي ، ويحتمل التضحيات بشجاعة عجيبة ؛ نرى آباء عائلات باذلين الجهد ، دون تردد ولا تذمر ، في خدمة اولادهم وذويهم ؛ نجد وطنيين متفانين لبلادهم دون ان يبخلوا عليها بوقتهم ومالهم وخدماتهم ؛ نلقى اشخاصاً شعارهم العدل والاستقامة والشرف ، وهم سائرون بموجبه دون خجل ولا فشل . اجل نرى رجالاً هذه خصالهم وهذه اعمالهم ، والحق يقال انها لخصال حميدة ، واعمال فريدة . لكن هؤلاء الانام في الوقت عينه بعيدون عن اداء واجبهم الديني الفائق الطبيعة . فما قيمة هذه الافعال في نظر الله ، ونظراً الى الآخرة ؟ نحن مضطرون الى الاجابة ، بكل أسف ، ان ذلك كله لا قيمة له ، لانه لا يتجاوز النظام الطبيعي ، ومن ثمَّ فليس يجريَ بالمكافأة المتفوقة على طبيعته . ويوم يمثل هؤلاء الناس امام ديانهم ، فلا يجد سبحانه على جباههم الختم الالهي ، وسمة النعمة التي تتسم بها النفوس للدخول الى السعادة الابدية ، يقول لهم : لا اعرفكم ؛ من اين انتم ؛ لاني لا ارى فيكم نور الحياة الخالدة ، وعلامة الاتحاد بابني الحبيب ، وشعار التبني السماوي .

واذا استمر مثل هؤلاء المساكين عشرين او ثلاثين او اربعين سنة محرومين من مفاعيل النعمة الالهية ، فكل يوم من حياتهم ، في هذه المدة الطويلة ، لا فائدة له للابدية ، واذا افتقدهم الرب برحمته ، آخر عمرهم ، فاثرت فيهم

نعمته ، فعادوا اليه تائبين ، فلا مكنة لهم ان يجدوا للحياة الدائمة الاعمال التي كانت للموت ، كل تلك الحقبة المديدة .

ولذا تناشد امنا الكنيسة النفوس المسيحية التي تستهين بقيمة النعمة ، وتطلب اليها ، بحق صالحها ومستقبلها الابدي ، الا تحتقر تحريضاتها وتضرعاتها، بل تفتكر بمواعيد الله ووعيد عدله الإلهي . فعلى مثل هولاء ان ينزلوا الى اعماق ضمائرهم ، وبعد اطلاعهم على حالهم البؤسى ، ليسرعوا في التخلص منها ، ويقبلوا النعمة التي تجعلهم ابناء الله ، ومن ثم اهلاً للاجر السموي .

* * *

بعد ان وقفنا على مفاعيل النعمة ، لنرَ كيف يجب ان يكون موقفنا او تصرفنا بالنظر اليها .

اول موقف يلزمنا ان نقفه تجاه مفاعيل النعمة هو موقف التجلة والاعتبار الذي ينشأ عنه الرغبة في الاحتفاظ بها . وهذا امر في غاية الوضوح . فان الناس من عادتهم الضنّ بالاشياء الثمينة . واذ كانت النعمة ذات ثمن لا يقدّر ، وكانت فاعليتها جزيلة هذه الجزالة ، لزمنا الاهتمام بصيانتها في قلوبنا بامانة . مما ينجم عنه وجوب اجتناب الشر الادبي ، اعني به الخطيئة قاتلة النعمة في النفوس .

وعليه نرى القديسين احكم الناس ، لانهم كانوا يقولون ويعملون بموجب قولهم وهو : « فليخرب العالم ، ان اقتضى الامر ، على شرط ان تبقى نفسنا غير مصابة بضربات شرّ الخطيئة . لنُحرم من الشرف والثروة والسعادة ، فهذا لا يهمنا ما دامت فينا النعمة ، غنانا الوحيد . » اجل هذا ملخص مبادئ الاولياء واعمالهم . فانهم كانوا يسعون ، قدر المستطاع ، في حفظ النعمة في قلوبهم ، وصيانتها صونهم اثمن الكنوز . فكانوا ابلغ حكمة من كثيرين من المسيحيين ، اذ ما اقلّ الذين يهتمون بهذا الكنز حقّ الاهتمام ، وبالعكس ، ما اكثر الذين لا يبالون به ، فيطوّحون نفوسهم في المخاطر ، كأن لا قيمة لها للابدية . واما نحن فلنقتفِ آثار الابرار والصديقين ، ضانين بهذه الدرة الكريمة العائدة بالمجد الحقيقي على النفس البشرية .

الموقف الثاني هو موقف الراغبين والجادّين في ان يكثروا ، وهم في حال النعمة ، من الاعمال المصنوعة لوجهه عزّ وجلّ .

ان المذهب البروتستاني اخترع نظرية غريبة في خصوص استحقاق النفوس . فانه يدّعي بان الاعمال الصالحة لا تسوى شيئاً ، وان الايمان وحده يكفي للوصول الى الله ، وان يسوع المسيح قد خلصنا بافضاله ، وانه قد اتحدنا معه بالروح ، فحقق بذلك الشرط الوحيد المطلوب لاسعادنا في جنّة الخلد . ان الخاصة الوحيدة لهذه النظرية هي سهولتها ، لانها بالحقيقة قد فتحت باباً واسعاً وبسطت مجالاً رحباً ، للاهواء الرديئة باجمعها ، بمنحها الانسان الحق المشؤوم الملخص بقول لوتيروس الشهير : « أخطئ كثيراً ، لكن اؤمن اكثر ، فالخلاص مضمون لك . » بيد انه مهما يكن من سهولتها ، فهي قصية عن الصواب لكونها غير لائقة لا بالله ولا بالطبيعة البشرية . هي شائنة لله ، لمناقضتها جميع الغرائز الادبية التي ركزها هو تعالى في طبيعتنا . وهي شائنة للانسان نفسه لانها تنزع منه خاصة العمل والجدّ ، جاعلة اياه خليقة جامدة عاجزة عن ايّ عمل فعّال بالنظر الى خلاصه ومجده الابدي . .

اما الصواب فهو ان الاعمال الصالحة ضرورية ، لما تقدم من التبيان ، وان الايمان ، دون اعمال ، مائت ، بحسب تعليم مار يعقوب الرسول . الصواب انه كلما ازدادت اعمالنا الحسنة في هذه الحياة ، ازداد مجدنا في العالم الآتي .

ان في السماء منازل كثيرة ، حسب قول الرب ، لاسمه السجود . وكما ان النجم يختلف عن اخيه النجم بنوره ، فالمختارون ايضاً يختلفون في درجات المجد ، في الفردوس السماوي . وكما ان النور ينتج نتائج متضاربة في الاجسام المتباينة الاستعداد ، فكذلك تكون نتائج احوالنا في الحياة الدائمة .

هذا هو الحق وهذا هو العدل . لان العقل ذاته يشهد بان القديس الذي قضى سحابة عمره متفرّغاً لممارسة الزهد والاماتة والتقشفات الجسدية المتنوعة لهو حريّ بان يفوز بمجد اعظم وابهى من مجد الرجل الذي يترب في الساعة الاخيرة من حياته ، ولا يكون قد قدم لله سوى بقايا عيشة ممتهنة بخدمة العالم ، واتباع اباطيله ، والتمتع بملذاته . وهذا ما يبيّن لنا وجوب الاكثار من الافعال الجيدة

التي من شأنها ان ترفع درجة مجدنا . ومن ذلك يتبح ان التاهل في ذا الامر لما يندم عليه المرء ساعة الموت ، تلك الساعة التي يتمنى فيها ان يكون قد عمل كل شيء حباً بالله ، وعاش لخدمته ؛ بيد انه يكون قد ندم حين لا ينفع الندم . فاليوم ما دام الوقت بيدنا ، لنكثف نفوسنا مؤونة تلك الحسرات ؛ لنكسب ، ولنبالغ في كسب الاجر والثواب العائد علينا بالفائدة الكبرى في الآخرة .

لكن ما هي الاعمال الصالحة التي تبقي فينا الحياة الفائقة الطبيعة ؟ اذا سألنا الكنيسة المقدسة عن الشروط الضرورية لحفظ النعمة وانمائها ، اجابتنا ان اول هذه الشروط هو الايمان بكلام المسيح القائل : « من آمن واعتمد فقد خلص . » فالايمان — وليس الايمان المبهم ، لكن الايمان الثابت بالحقائق المعينة الموحى بها وقد اثبتتها الكنيسة — اجل هذا الايمان هو اول واجب علينا اصون هذه الوديعة المقدسة الثمينة . ثم بعد الايمان يلزم حفظ الوصايا ، حسب قول الرب عينه : « من يحبني يحفظ وصاياي . اذهبوا الى العالم كله ، وعلموا الامم ان يحفظوا ما اوصيتكم به . » وكلمة الوصايا تشمل — ما عدا الشرائع المكتوبة على صفحات الضمائر البشرية والمعلنة كتابةً في التوراة — الاوامر والنواهي التي وضعها السيد المسيح واذاعتها الكنيسة واضافة اليها سُننها الخاصة ؛ الخلاصة : وصايا الله ووصايا الكنيسة .

فالايمان بكلام المسيح وحفظ وصاياه هما اذن الوسيلة للبقاء في حال النعمة ومن ثم لنيل الاجر الابدي . ونفهم سبب حدوث ذلك بهذه الطريقة ، اذا لاحظنا تلك السنة الطبيعية ، سنة نمو البذور بتمثل العناصر المناسبة لطبيعتها ، والتي تجدها في المنابت الملقاة فيها ، وهي سنة متحققة في جميع طبقات الاحياء . كيف يا ترى ينمو الحيوان ، الا باستعمال هذه القوة العجيبة ، قوة تمثل العناصر المجاورة له والموافقة لكيانه الذي اتاه بالولادة ؟ كيف تتوسع في الولد بذور الحياة العقلية والادبية الّا بماسّة عقله وحريته الموضوعات التي تنيره بضيائها الداخلي فتمكنه من تمييز الحق والعدل ؟ فعلى هذا المنوال يجري الامر في الحياة الفائقة الطبيعة . فان النعمة نور وقوة ملقاة في نفس الانسان . فتنمو بتمثليها

اعماله الادبية المصنوعة بحرية ، حسب تدابير العناية الالهية . ولا عجب من نفوذ الرب في تعيين تلك الاعمال ، لما هو مقرر من ان الخلائق جديرة بان تدرّب في سبيل تقدمها ، وتساق الى غايتها القصوى ، بفعل العلة التي اوجدتها . وبما ان الكلمة المتأنس هو علة حياتنا الفائقة الطبيعة ، وقد استحقها لنا باهراق دمه الزكي ، ويفيضها علينا بقوة متواصلة ، كان من اللائق ان تكون افكاره افكارنا ، وان تدل ارادته على ارادة العناية في تسييرنا نحو غايتنا ، وان يخضع عقلنا للوحي الذي انزله ، وتتبعه ارادتنا ، ليقودها في سبيل الخير السامي الذي اتى به الى العالم .

على هذه الحقائق الثابتة مبنية الواجبات المسيحية . ولهذا ليأخذ منا العجب مأخذه لدى رؤيتنا اناساً هذا عددهم يحاولون التخلص من الخضوع ، بالروح والارادة ، لشرائع الله وكنيسته ، وبذلك يحرمون نفوسهم من مفاعيل النعمة ويجعلون خلاصهم في خطر جسيم .

من التصاوير الدينية صورة متقنة الصنع يُرى فيها طائفة من القديسين مجتمعين بشكل حلقة طائفين طوافاً مقدساً ، طواف الغبطة والسرور ، حول العزة الصمدانية غير المنظورة ، تعظيماً واجلالاً لها ، فهذه الصورة خليقة ، والحق يقال ، بان تكون رمزاً عمّا يتطلبه منّا وجود النعمة في نفوسنا . لان الله بفعل هذه النعمة حاضر فينا ، ينيرنا بنوره ، وينعش آمالنا بمواعيده ، ويحبنا محبته . لكنه يريد ، مقابلة لهذه المنح التي تشركنا في حياته الالهية ، ان تكون حياتنا مقدسة ، حياة البهجة والحبور ، وان تنشد اناشيد الغبطة ، موقعة على آلات الايمان بوحيه ، والخضوع لوصاياه .

فعسى جميع المسيحيين يدركون هذه الحقيقة ، فيقدرون النعمة حق قدرها فيستمدونها من ينبوعها الالهي ، ويجهدون في المحافظة عليها اشدّ المحافظة ، على مثال القديسين ، ويكثرون من الاعمال الحسنة ، وهم في حال النعمة المقدسة ، فيكنزون لهم كنزاً في السماء ، يجدونه يوم ملاقاتهم الرب بوجه مسفر ، فيدخلون معه الاخدار الابدية .

الاحوال الشخصية

درس تاريخي قانوني

بقلم الخوري بطرس غالب

٢

فما تقدم ذكره يمكن ادراك المقصود من عبارة « الاحوال الشخصية » ، ويتوضح ان ما اتفق عليه ائمة القانون هو عين الصواب اذ اطلقوا هذا الاسم على مجموع شرائع تنظّم اساساً اعمال الافراد بصفتهم اعضاء طائفة مقيّدة بقوانين خاصة تتناول عرَضاً الأمور التي تتعلق ضرورةً بهؤلاء الافراد . وعليه فان اسم «طائفة» لا يشمل غير الجماعة المنظورة الكاملة التي ترمي الى غاية واحدة دينية او سياسية او ادبية . اما في مقالنا فلا نقصد غير الجماعات الدينية التي ترتكز شرائعها على الدين الذي ينتمي اليه افرادها ، والتي تكون غايتها غاية الدين ، اي سعادة الافراد في الآخرة. فلليهود احوال شخصية ، كما للمسلم وللمسيحي وغيرهم من اتباع الاديان المعترف بها .

ولا ريب انه بتعدّد المذاهب تتعدّد انظمة الاحوال الشخصية . غير انه لا ينجم عن هذا التعدّد اضرار لا يمكن تلافيها ، اذ ان قانون الاحوال الشخصية قانون داخلي لا يشمل غير المنتمين الى الطائفة الواحدة . واذا حدث بين الطوائف المختلفة تنازع على الصلاحية ، امكن استدراك الامر في شريعة تحدّد اختصاص كلٍّ من المحاكم المذهبية ، طبقاً للقواعد المرعية في جميع الامم وللمبادئ الاساسية للحق العام .

فقانون الاحوال الشخصية ليس اذاً سوى طريقة منظّمة تمكن كل طائفة من حفظ كيانها بضمان حريتها المذهبية ، وتنفيذ شرائعها الداخلية المرتّبة نموّها والمحافظة على غايتها الخاصة .

ويوم كانت السلطتان الروحية والزمنية محصورتين في هيئة حاكمة واحدة ، او متفقتين ، لم يكن مجال لبحث الطرق المؤدية الى تنفيذ الاحكام الروحية والمتعلقة حتماً بالروحيات ، لانّ قوّة السيف ، كما يقول العلماء ، كانت قيد تصرّف السلطة الروحية . اما وقد تغيّرت مبادئ السياسة في اغلب اقطار المسكونة ، واخذت الحكومات تحاول ان تبني النظام السياسي والاجتماعي على أسس العلمانية او اللادينية التي لا تكتفي بان تؤيد استقلال الزمني عن الروحي بل تجعله اسمى من الروحي واولى منه بالسيادة ، علق التنازع يتجسم بين اللادينية والمبادئ الروحية ؛ فاضطرّت الحكومات ، واغلبها لاديني ، بعد الاختبارات المتكررة ، الى ان تختار احدى خطتين لا ثالثة لهما ، لتسويد السكينة والسلام في الوطن الواحد ؛ فاما ان تترك الحرية التامة للرعية والجماعات الدينية المتكوّنة فيها حتى يمارسوا ما يفرضه الدين عليهم ، واما ان تعقد المعاهدات مع السلطة الروحية العليا التي تخضع لها تلك الجماعات ، فيحدّد فيها ما للجماعات من حقوق ، وما على الحكومة من واجبات إزاء الدين . وفي ما عدا هاتين الخطتين الاضطهاد والبلبلة ، وانصراف الحكومات الى الفتن الداخلية ، ولهوها عن الشؤون الهامة التي تتطلب كل عنايتها .

ومعلوم ان الحكومات ما كانت لتتدخل عادةً في الشؤون الدينية ، الّا اذا قصدت الاضطهاد والقضاء على الدين ، ما دامت ممارسة الدين لا تضرّ بالمصلحة العامة ، ولا تقلق راحة الرعية المعقولة ؛ لكنها ما كانت تضع موضع الاجراء احكام المجالس المذهبية ، فاضطر الرؤساء الروحيون الى التوسّل لتنفيذ قراراتهم واحكامهم ، بما يخوّلهم اياه القانون من السلاح الروحي كالتأديبات والعقوبات الروحية . اننا في العصر الغابر تعدّت بعض الحكومات حدودها فسنّت شرائع اخضعت لها المواد المتعلقة بالدين دون سواه كصحة الزواج المسيحي ، وحق الجماعات الدينية بالتملّك والاجتماع ، وما اشبه . وفي ذلك مجاوزة ظاهرة للحق الالهي ، وللحق الطبيعي الوضعي ، لان الجماعات الدينية ، بصفتها جماعات كاملة منظورة منظمة ، لها غايتها السامية التي تفوق المصالح الزمنية ، ولها حق بان تنظّم شؤونها وتسنّ قوانين تكفل حفظ كيانها

الادبي والمادي وتضمن نموها ، بلوغاً الى الغاية التي أُلفت لاجلها.

لكن تلك الحالة ادت بالحكومات المتعدية نفسها الى تبديل موقفها في المسائل الدينية البحتة وسعت لحل المشكلة بطريقة الاتفاق مع السلطة الروحية.

على ان التنازع ما زال شديداً على المواد المختلطة . فهذه لا يمكن تعيينها ، او تحديد المبادئ التي تفرقها عن غيرها ، الا باتفاق السلطتين الزمنية والروحية ، لتوضع الحدود التي تفصل بعضها عن بعض ويرجع ما يختص بكل من المحاكم اليها.

ولك في اتفاقي لاتران ، المعقودين بين الكرسي الرسولي وحكومة ايطالية ، والاتفاقات التي عقدت بين الكرسي وبافارية ، وبولاندة ، وليتوانية ، والبرتوغال الخ ، خير مثال لشكل الحل الواجب اعتماده في مسائل الاحوال الشخصية وحقوق الكنيسة التي هي اكمل الجماعات الدينية.

فما الذي تتناوله اذاً «الاحوال الشخصية» ؟

ذلك سؤال يسهل الجواب عليه . لانه اذا كان لكل جماعة شرعية حق بحفظ كيانها ونموها . فهذان الامران لا يتمان الا بان يكون للهيئة الحاكمة في الجماعة السلطة الفعالة لحمل الاعضاء على التقيد بشرائعها تحت طائلة العقاب او الثواب.

فحفظ كيان الجماعة يقتضي له تكاثر اعضائها ، وتأمين الروابط التي تربط بعضهم بالبعض الآخر ، والسهر على ان يحفظوا ما توجبه عليهم غاية الجماعة ، وحرية ممارسة مذهبهم ، وضمان استمرار الهيئة الحاكمة ، ومنع التعدي عليها ، وتأمين اسباب حياتها المادية والادبية ، وتنفيذ احكامها وقراراتها المتخذة ضمن دائرة اختصاصها . هذا اذا كانت الجماعة الروحية خاضعة لسلطة غير سلطتها . واما اذا كانت مستقلة تماماً فانها تتدبر امورها بما ترى.

هذه الحقائق ادركها عموم مستلمي زمام الاحكام ، حتى ان السلاطين العثمانيين انفسهم اتخذوها قواعد لسياستهم مع الطوائف المختلفة المؤلفة قسماً كبيراً من رعيتهم ، فاثبتوا في فرمانات وبراءات متعددة ما اعتبروه مختصاً بالاحوال الشخصية . وها نحن نذكره باختصاره مأخوذاً عن تأليف الصحافي ستاڤروس ثوتيراس ، وعنوانه : «امتيازات الجماعات المسيحية في المملكة العثمانية.» وقد قسمها

لزيادة الايضاح قسمين سرد في اولهما امتيازات الرؤساء الروحيين ، ثم جاء في ثانيهما على صلاحيتهم.

فامتيازات الرؤساء الروحيين تحصت في الامور التالية :

١ً يعيَّن الرؤساء الروحيون ويعزلون بمقتضى القوانين الملية.

٢ً لا تسمع الشكوى عليهم ما لم يعتبرها البطريرك والمجمع الملي بعد الفحص والتدقيق.

٣ً لا يحاكم الرؤساء الروحيون في الدعاوى المدنية ، خارج الاستانة ، وترسل تذاكر الدعوة بواسطة البطركخانة.

٤ً يحاكمون امام البطريرك في الدعاوى الجزائية.

٥ً للبطريرك وحده ان يجري توقيف المطارنة والاساقفة عند اللزوم.

٦ً اذا ثبتت دعوى جنائية على مطران او اسقف تُنزع منه درجته اولاً ، ثم يسلّم للحكومة لتقتصّ منه بحسب القوانين.

٧ً يُناط النظر في اموال ومتروكات رؤساء الكهنة بالبطركخانة.

٨ً للرؤساء الروحيين ان يعيّنوا الكهنة ويعزلوهم من وظائفهم ؛ وتقام الدعاوى على رجال الاكليرس بواسطة البطركخانة في الاستانة ، وبواسطة المطرانخانة خارج الاستانة.

٩ً يُحاكم الكهنة في الدعاوى الجزائية امام المحاكم النظامية . لكنهم يقضون مدة سجنهم ، اذا حكم عليهم به ، في البطركخانة او المطرانخانة . اما في الدعاوى الجنائية ، فاذا ثبت جرمهم ، يعرّون من وظيفتهم الكهنوتية ، ثم يسلّمون للحكومة ليتموا قصاصهم في السجون العمومية ؛ لكنهم قبل الحكم يوقفون في حجرة مخصوصة.

١٠ً يُحلّف الكهنة وسائر الاكليريكيين في البطركخانة او المطرانخانة.

امّا صلاحية الرؤساء الروحيين ومجالس الكنيسة والمحاكم المذهبية فهي :

١ً ان تُرى امامهم ، دون سواهم ، دعاوى الخطبة والزواج وما يتعلق بهما ، والجهاز ، والترحمات ، والنفقة ، والطلاق ، والوصيات ، والنذور ، اذا قامت هذه الدعاوى بين ابناء الطائفة الواحدة.

٢ً ان يراقبوا المدارس الملية ، والمستشفيات ، وسائر المؤسسات الخيرية والملية ، ويدققوا في حساباتها ودخلها وخرجها ، وفي حسابات الاديرة والكنائس ؛ ويعينوا وكلاءها ونظارها ويعزلوهم وينظموا لوائح التدريس ، ويصدقوا شهادات المعلمين.

زد على ما تقدم ان للمسيحيين عموماً الحق بان يوصوا بجميع متروكاتهم ، سواء كانت من المنقولات او غير المنقولات ؛ الّا اذا كانت من الاوقاف او الاموال الاميرية . ومتى وجدت وصية رسمية مصدّقة لا يسوغ لاحد ايّاً كان ان يتدخّل في شأنها ؛ والدعاوى المتعلقة بها ، وبصحتها ، وتصديقها ، هي من اختصاص المحاكم المذهبية . واذا كان بعض الورثة من طائفة اخرى ، او غير عثمانيين ، واذا كانت الوصية تشمل اراضي موقوفة او اميرية او املاك عليها دعوى من قبل شخص ثالث ، فالنظر فيها للمحاكم النظامية.

٣ً على دوائر الاجراء ان تنفذ بدون مراجعة جميع الاحكام الصادرة من مجالس المطرانخانة.

اضف الى ما تقدم وجوب تصديق البطاركة على بيع اي وقف كان. (تحريرات انجمن عدلية ٤ ك ١ سنة ١٨٨١ ، وقرار محكمة التمييز اللبنانية ٢١ ت ٢ سنة ١٩٢٩ ، وتحريرات متصرفية جبل لبنان ٢١ ك ٢ سنة ١٣٢١ رقم ١١٦ .)

هذا عموماً . اما لبنان فقد تمتع باكثر من ذلك ، وكانت حقوق الرؤساء الروحيين فيه اوسع نطاقاً . فان الاساقفة كانوا يتولّون القضاء في جميع شؤون ابناء ابرشياتهم حتى المدنية منها . ويكفينا ان نلقي نظرة على تاريخ لبنان حتى تتوافر لدينا الادلّة المثبتة صحة ما نقول :

الاسقف كان يعيّن الاوصياء على القاصرين والمحجورين، ويسهر على تربيتهم واموالهم ، ويعلن بلوغهم الرشد ، ويوزع التركات بموجب القوانين المتبعة التي نُصّ عليها خصيصاً في الناموس . وكان يثبت الوقف ويقبله ويحكم بمسألة اللقطاء ، ويفصل الدعاوى المدنية المتكونة بين ابناء ابرشيته .

وقد اقرّ هذه الحقوق حكام لبنان من اي مذهب كانوا.

وها نحن ذاكِرون بعض ما جاء في المجامع الطائفية المارونية :

فان مجمع ضيعة موسى ، سنة ١٥٩٨ ، حدّد صداق الارملة . وقال مجمع حراش سنة ١٦٤٤ بان يكون المهر برضى العريس والعروس ، وان لا يكون ارث قبل وفاء الدين وحسنات القداسات وباقي ما يلزم لدفن الميت ، وقرر انه اذا مات رجل عن امرأة ووارث ، تُعطى الامرأة اولاً نقدها والثمن من متروكاته اي ٣ قراريط من ٢٤ قيراطاً . اما المجمع اللبناني ، وهو دستور الطائفة المارونية ، فينص في القسم الاول ب ٣ ع ٩ ، ما يلي : «وجب على السيد البطريرك السامي الاحترام ان يعهد الى رجال اكفاء من ذوي الاطلاع والرسوخ في العلم ممن برعوا في معرفة اللغات ان يضعوا ، ما عدا الكتب التي مرّ ذكرها آنفاً ، مجلة في الناموس القانوني والمدني تكون دستوراً للاساقفة الذين يتولون بحكم عادة الشرقيين تسوية الدعاوي بموجب كلا الناموسين.»

ان هذه الشهادة التي اوردناها — وهي للعلامة السمعاني المؤرخ الكبير وواضع نصّ المجمع اللبناني — لاقوى برهان على صدق ما قدّمنا اياً كان

مصدر هذه السلطة المدنية في الاساقفة.

ولنا دليل آخر في وثيقة للبطريرك سمعان عوّاد، مؤرخة في ١٩ تموز سنة ١٧٤٤، جاء فيها ان «قد قرّ قرار البطريرك والمطارنة ان يشرع كل اسقف في رعيته وان يجري ذلك بموجب كتاب «مختصر الشريعة» للمطران قراعلي وكتاب فتاويه.»

وقرر مجمع بقعاتا، المنعقد في ٢٢ آب سنة ١٧٥٦، لاجل تنفيذ قرارات المجمع اللبناني «ان يعتني قدس البطريرك والاساقفة معه على تعيين قاضٍ واحد يقضي الخصومات العالمية وليتعين له مدخول من اصحاب الدعاوى.»

وهذه الحقوق قد مارسها الاساقفة، بشهادة السمعاني الشهير كما تقدم، وبشهادة البطاركة والاساقفة الذين ما اكتفوا بان اثبتوا هذه الحقوق بل استعملوها كما ترى من مراجعة الاحكام والفتاوى التي صدرت منهم. وقد اورد قسماً منها حضرة الاب العالم المنتّب الخوري يوسف زيادة، امين سر البطريركية المارونية، في كتابه «القضاء الماروني وعلاقته بالشرع الروماني». وقد استعنا بهذا المؤلَّف المفيد في مقالنا هذا.

سلم والي طرابلس اعلاماً الى البطريرك الماروني، في سنة ١٦٠٩، جاء فيه:

«المقصود من يوم ورايح ان تكونوا جميعكم في اطاعة البترك (البطرك) على امور دينكم وجاري عوايدكم القديمة فكل من حصل منه عناد اوخلاف نطلع من حقه...» ٢٠ رمضان ١٠١٨هـ.

وكان البطريرك آنئذٍ يوحنا مخلوف الاهدني.

من موسى حماده الى البطريرك يعقوب عواد (سنة ١٧١٧):

«...وان لا احد من الحكام يعارض البطرك ولاتباعهم ايضاً ولا ينازعوه بوجه من الوجوه ولا يغلّظ خاطره فيما يخص امور الدين من رسامة وشرع وزيجات وورثات ووقوفات وديورة ورهبان مع جميع ما يخص محبنا البطرك من نورية وطاعة وعوايد الديورة وكذلك ان جميع الوقوفات من مزارع وبيوت واقبية واشجار واراضي وجوز وامياه وسبيل ومجالات الجيرة وبما ان البطرك ربة (رئيس) دين ومقصود من كل طرف وجانب فلا احد يعترض

الشاردين والواردين عنده كاينًا من كان . . .» جمادى الثاني ١١٣٠هـ.

ومثله تعهد حسين حماده للبطريرك سمعان عواد ١١٥٨هـ. ١٧٤٥م.

وكتب الامير ملحم شهاب الى البطريرك المذكور يقول :

. . .« لزم كتبنا مكتوب الى الشيخ سنتو (الخازن) انه يحضر ام يوجد له وكيل وفي وصولهم يتوجه وكيله والرهبان لعندكم تسمعوا دعوتهم وتقطعوها بوجه لان ما يمكن تخلي النصارى يشرعوا الّا عند ربة (رئيس) دينهم .»

واصدر الامير حيدر شهاب سنة ١٢٠٦ (١٧٩١) في ربيع الاول امرًا اليك نصّه بحرفه :

«سبب تحريره اننا لما فحصنا عن المظالم التي تجددت في رعايانا وانعرضت علينا العادة التي احدثت في الطائفة النصرانية منذ ايام وجيزة وهي اقامة قاضي ان كان مطران ام خوري من قبل سلفائنا لاجل قطع الشرائع والدعاوى التي تحدث ما بين الطائفة المذكورة وقد جعلوا لمن يقوم بهذا المقام ان يأخذ محصول على جميع الدعاوى التي تنعرض عليه فلمّا تحققنا انها سنّة غير عادلة وظلم على رعايانا لزم امرنا في ابطالها ورفعها من يد المطارنة والخوارنة بل تكون بيد حضرة عزيزنا البطرك يوسف ومن يقوم مقامه من بعده بما انه رأس دينهم وملتزم بتدبيرهم وانه يقضي ويحكم على جميع الدعاوى والشرائع الذمية والعالمية التي تحصل في بطريركيته من غير انه يأخذ محصول ام يكلف احد شي . . . .»

وقد صدرت فرمانات من الدولة العلية بتمديد الانعامات المعطاة لطائفة الروم الارثوذكس الى سائر الطوائف المسيحية . وورد امر سام في ٢١ ذي القعدة ١٣١٠ (١٨٩٢) جاء فيه :

« تبين من التذكرة الواردة من الديوان الهمايوني ان من مقتضى العادة القديمة المتخذة والمرعية في جبل لبنان ان ترى دعاوى الوقف الحادثة بين المسلمين والمتاولة والدروز عند قضاة مذاهبهم والحادثة بين غير المسلمين عند روسائهم الروحيين وانه يلزم من ثم التقيد بهذه القاعدة .»

ولدينا الشيء الكثير من هذه الوثائق التي يشبه بعضها البعض الآخر ، ولذا احجمنا عن نشرها خشية ان يمل القارئ من مطالعة الشيء ذاته (للمقال صلة)

حول صناعة النجوم

بقلم حضرة القس عبد المسيح زهر

النجام او المنجم هو الذي يرعى النجوم فيحسب مواقيتها وسيرها ليعلم منها احوال العالم . « فاصحاب هذه الصناعة يزعمون انهم يعرفون بها الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها ، من قِبَل معرفة الكواكب وتأثيرها في المولدات العنصرية مفردة ومجتمعة » ،[1] ويدّعون معرفة حوادث الغيب من رصدها والوقوف على تأثيراتها في العالم والخلائق . وفي زعمهم ان المولود ، منذ ساعة ولادته ، يؤثر فيه احدها . ومتى ارادوا معرفة ماضي الانسان ومستقبله ، وما يعرض له في حياته من سعد او نحس ، وبؤس او نعيم ، وتوفيق او زيغ ، ونجاح او خيبة ، توسّلوا بحسابات الكواكب وسيرها لمعرفة اوضاعها ، ولاسيما الاعمار والولادة للاستدلال على ما يريدون . ويعتقدون ان الكواكب على بعدها لا تخلو من فعل في العالم ، لانها كائنات حيّة متكيّفة بكيفيات متفاوتة في المنافع والمضارّ ، والخير والشر ، والاحسان والاساءة ، وان نورها لا بد له من أثر في الكائنات العنصرية من اجل المزاج الحاصل لكل كوكب . وهذه الآثار تختلف وتتفق وتتناقض فيهدم الاثرُ الأثرَ ، وذلك لكثافتها واوضاعها ، وطلوعها وغروبها ، واختلاف المواقيت والساعات والشهور . ولا ينجو من تأثيرها انسان او حيوان او نبات او معدن ، اذ كل مولود عبد لها بالطبع ، فتتصرف به في حياته على هواها .

---

١) مقدمة ابن خلدون ، المطبعة الادبية ، بيروت سنة ١٨٧٩ ، ص ٥١٩ .

اذن السعد والنحس ، والنعيم والشقاء ، والخير والشر تتوقف على النجم .

ثم ان تأثير قوى الكواكب ليس مقصوراً على الانسان والكائنات الشخصية ، بل يتناول الكائنات الكلية والشعوب والامم والممالك فتزيد وتكري ، وتتقوى وتهن ، وتسعد وتشقى ، وتنعم وتبأس بالتأثيرات المتعاقبة عليها . وهذه الطوارئ الواردة عليها كلها مكتوب في اسفار السماء . فالعالم كل العالم من قرأها وابدى اسرارها . فكانت هذه الاعتقادات باعثاً على رصد الكواكب والتطلع الى معرفة اوضاعها وادوارها وموافقتها ومضادتها وتأثير قواها مفردة ومركبة ، ومشتدة ومتوانية ؛ اذ ان كل الحوادث الطارئة على الشمس والقمر والنجوم الحرّارة كلها دلالات بل آيات وإنذارات الشعوب من قبل الملأ الاعلى . فالعاقل العاقل من اتعظ بها وسار طبقاً لها .

وفي القديم اشتهر البابليون بهذه الصناعة كما جاء في سفر اشعياء : « قد اعييتِ من كثرة مشوراتك ، فليقف راصدو السماء الناظرون في الكواكب ، المعرفون عن رؤوس الشهور ، وليخلصوكِ مما هو آتٍ عليك . »[١] وقد عُرف اصحاب هذه الصناعة باسم « كلدانيين » كما ورد في سفر دانيال[٢] . فكلمة « كلداني » كانت في اصل وضعها تدلّ على المتضلّع من العلم والمتعمّق والمتبسّط في المعارف والامور القضائية والرياضية وصناعة التنجيم . وكان الكلدانيون يتدارسون هذه العلوم بلغتهم الكلدانية القديمة ، طبقاً لما ذكر دانيال النبي من قوله : « فاجاب الكلدانيون الملك بالارامية : ايها الملك حييت الى الابد . »[٣] ولهذا السبب اختار نبوكدنصر منهم الولاة والحكام . وذكر هيرودت[٤] ، وشايعه ديودور الصقلي[٥] ان اسم « كلداني » كان يشمل كهنة بعل مردوك ، فلما عطلوا من العلوم واقتصروا منها على العرافة والكهانة والتنجيم ظل هذا الاسم ملازماً لهم ملتصقاً بهم ، وصارت كلمة « كلداني » مرادفة للعرّاف والكاهن والمنجّم .[٦]

١) اش ٤٧ : ١٣ ٢) دانيال ٢ : ٢ و ٤ ؛ و ٣ : ٨ و ٤٨ و ٤ : ٤ ؛ ٥ : ٧ و ١١

٣) دانيال ٢ : ٤ ٤) I, 181

٥) II, 24 ٦) معجم التوراة لفيكورو ، المجلد ٢ ، عمود ٥٠٨

وما عتمت هذه الصناعة ان انتقلت من الكلدانيين الى العرب ، ودليله ان المتكهن يسمى في لسانهم حزّاء او حازياً من ܚܙܘܝܐ الارامية [١] ؛ والى المصريين ؛ ومن مصر انتقلت الى بلاد اليونان فايطالية ثم عمت اوربة الغربية. وقد لقيت في الاجيال الوسطى مقاومة عنيفة ، وبالرغم منها اشتهرت وانتشرت. وفي القرن السادس عشر بلغت أوج عزّها ، اذ كان حينئذٍ لكل ملك منجم يلازمه . فلويس الحادي عشر كان له منجم اسمه غالوتي (Galeotti) ، وكاترين مديسيس زوجة هنري الثاني كان عندها منجم ايضاً اسمه قزما روجيري (Ruggieri) . ولكن ما طلع فجر القرن الثامن عشر حتى بطلت ، وأعرض عنها القوم ، خلا ان بعض العلماء الاعلام تعلقوا بها ومالوا اليها مثل كدران (Cadran) وتيخو براه وكبلر .[٢]

ولكن هل للكواكب في التحقيق تأثير في مقادير الآدميين ؟ وهل لكل واحد ، كما يزعم ارباب هذه الصناعة ، نجم في الفلك يمتد فعله الى افعاله بجملتها ويسيطر على اموره ، ويؤثر فيها ؟

فلنسأل العلم ، ولنستطلع رأيه مستصبحين باقوال الاب مورو [٣] في الجواب على هذه المسئلة . ولكن العلم يقول لنا : ماذا تكون ايها الانسان المتكبر في وسط هذا الكون العظيم ! ان السيارة التي تسكنها وتقع عليها المنازعات بين الناس ان هي الا هباءة تلعب بها الرياح في اجواز الصحراء الافريقية الفيحاء . فمن حاول مقايسة نفسه بجرثومة تدب على هذه الارض الصغيرة كل الصغر الضائعة بين مجتمع الكواكب عُدَّ جسوراً . « ها ان الامم تحسب كنقطة من دلو ، وكهبوة في ميزان . ها ان الجزائر كذرة تنقض . » [٤] اننا ولا ريب نسقط حين ولادتنا على هذه الارض ، ونقضي على ظهرها ايام حياتنا القصيرة الفانية ،

١) مونث الحازي حازية ، وجمع الاول حازون ، والثاني حوازي قال الاخطل :

ولاقى ابن الحُباب لنا حميّاً   كفته كل راقيةٍ وحازِ

ولاقى ابن الحُباب لنا حميّاً   كفته كل حازيةٍ وراقِ

٢) معجم لاروس ، ص ١٥٢

٣) *Les énigmes de la science, Paris, 1925, p. 91.*

٤) اشعيا ٤٠ : ١٥ .

ونحسب انفسنا ثابتين غير متقلقلين ، بينما نحن نسير ونتحرك على الدوام . فهذه الارض التي نخالها ثابتة تسبح في وسط اجواز الفضاء. وتقطع دورها السنوي البالغ تسع مئة مليون كيلومترًا بسرعة ثلاثين في الثانية ، والشمس تسير ايضاً بسرعة عشرين ، والسيارات كلها تسير ، وكل ما حولنا يسير ، ونحن في هذا الفضاء الأفيح تحدق بنا نجوم اكثرها شموس بالغة معظم الكبر ، وقد ربطت بينها القدرة الالهية كما ربطت جميع الكائنات علوًا وسفلًا ، وقدرت لها بقوة التجاذب ادوارها وحركاتها واوضاعها في افلاكها ، فمن اجل بعدها الشاسع عنا قلّ تأثيرها في عالمنا . فضلًا عن ان الفلكيين قصروا عدد النجوم على بضع مئات من الملايين . فهب انها تبلغ المليار ، فاين هذا العدد من البشر المنتشرين المنبثين على ظهر الارض الذين يكادون يناهزون المليارين ؟ فاني والحالة هذه يكون لكل منهم نجم في جوّ السماء ؟

ثم اننا نقول ماذا ، اذا عرفنا ان نور بعض النجوم يحتاج الى آماد متطاولة ليصل الينا بالرغم من سرعة جريه البالغة ٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر في الثانية ؟ فاذا كان الامر كذلك فأيّ التأثير تحدثه النجوم في الارض وهي على بعد جدّ بعيد منا ؟ غير ان النيّرين الشمس والقمر يشذّان عن هذا الحكم اذ لا يسع احدًا جحد تأثيرهما في سيارتنا . فالشمس تفعل في الكائنات العنصرية لانها تشملها ليلًا ونهارًا بنورها وحرارتها . وهذه الحرارة تزيد وتنقص ، تزيد في مدة اربع سنين ونصف سنة ، وتنقص في سبع ، ولا تزال الحوادث عينها تتكرّر على هذا النحو . وقد يقصر عمر الفلكي كله عن الوصول الى معرفة ما يتولد في جوّ الشمس من الغيوم المتأطمة المتأججة البالغة ستة آلاف درجة من الحرارة وما ينشأ من الزوابع والاعاصر الشديدة التي يعجز القلم عن وصفها ، وما يهبّ من العواصف الهائلة والانفجارات التي تذهب بنثات من السيارات الصغيرة المشبهة سيارتنا . فلولا المراقب لما استطاع الفلكيون روئية هذه الحوادث ولا ادركوا شدتها .

بيد ان اشعة الانوار المنبعثة من هذا الاتون الدائم الاستعار لا تدلنا على حقيقة المعارك القوية المشتبكة بين تلك العناصر الجائشة الهائجة ، لما يصيبها من

التغيّر الدائم والظهور في مظاهر مختلفة متنوعة من اشعاع ، وانارة ، وتسخين ، وكهربة ، واحياء واخصاب ؛ وحينئذٍ تكون الارض بمنزلة وتر من اوتار قيثارة الشمس يهتز اذا اهتزت ، ويتأثر من جراء انقباضها وانبساطها ، وامتدادها وتقلّصها . ولعلّ السبب في زيادة حرارة الشمس منسوب الى تهافت المواد المبعثرة حول النيّر وتساقطها عليه رُكاماً واكواماً ، فتكون لها بمنزلة الحطب للنار يحييها ويهيجها ويزيد في حرارتها . والدليل على ذلك ظهور الكلف وانتشارها في قرصها ، وافراط اشتداد الحرارة وانقلاب المواد التي تقدم ذكرها ارواحاً لطيفة او غازات ذات الوان بنفسجية مشبعة . فهذا الينبوع العظيم ينبوع الحرارة ألا يؤثر في حياة الارض والكائنات ؟

على ان الفلكي المشهور هرشل قرّر منذ زمان طويل نسبةً بين كلف الشمس واسعار الحنطة . والاب مورو اثبت ان جودة غلة القمح في العالم ، والعنب في فرنسة ، نتيجة اشتداد فعل الشمس ، وان تكاثر قطع الجليد المنفصلة من جهات القطب الشمالي والسابحة في المحيط الاتلانتيكي لها علاقة به ايضاً ، وان اشتداد البرد والحر في اوربة من تأثيراتها اي من تأثيرات هذه الكلف . ثم ان اشتداد الحر وقت بلوغ الكلف معظمها يُحدث تبخيرًا في ما يلي خط الاستواء فتتساقط الامطار على اثرها غادقةً وابلة . هذا وان الشمس تأثيرًا آخر ايضاً ؛ وذلك ان الكهرباء المتطايرة من اجل الحوادث الكيمية الناشئة من احتراق المواد المتصعدة من اتون الشمس تؤثر في جو الارض فيقوى بسببها انوار الفجر القطبي ، وتختلّ الابرة المناطيسية فتضلّ وجهتها وتلعب المجاري الكهربائية بسطح الكرة الارضية فيكون جريها تابعاً لحركة دورتها ، ويبطل فعل الخطوط التلغرافية ساعات واحياناً اياماً ، وتقع الزلازل ، وتهب جبال النار اي البراكين من سباتها وتكثر الاعاصير في البحور ، وتقوى هذه المظاهر في اوقات معلومة كل اربع وثلاثين سنة . ويعم هذا الفعل عروض البلدان ، ويتعاقب المطر والجفاف ادوارًا كل سبع عشرة سنة .

ثم ان الانسان نفسه لا ينجو من تأثيرات هذه الحوادث اذ انه يشعر

بالكهرباء قرب حدوث العاصفة ولا يراها ، وتوثر في جهازه العصبي ، لان كلّ امرئ يشبه الرصيف الكهربائي ، او الدينامو ، ينتشر حوله هبوات مغناطيسية عديدة تزيد وتنقص ، تقلّ وتكثر في كل دقيقة . فهذا التشبيه قد لا يصدق من كل وجه لان البحث في المواد العنصرية لم يزل في مهده .

وقد استدل من ذلك الاب مورو الذي زاول حرفة التعليم زماناً مستطيلاً على ان القصاصات في المدارس تكثر ايام وقوع الانحرافات المغناطيسية ، اذ تتأثر من جرائها امزجة الاولاد ، كما تتأثر الابرة المغناطيسية ، والطباع ، واستعدادات النفوس ، والوئام بين العيال ، والمؤتمرات ، وسنّ الشرائع ، وتوتّر العلاقات السياسية بين الممالك ، واضرام الحروب . قال الاب مورو : واذا صدقت حساباتي واستقراءاتي تكون اوقات ضعف فعل الشمس اوقات راحة وهدوء وسلام تشمل الارض وسكانها . ففيها اقيمت المعارض العامة ، ولكن عند اشتدادها ، قويت المنازعات والحروب ، كما جرى سنة ١٨٧٠ و١٩١٤ كما تراه امامك في الرسم .

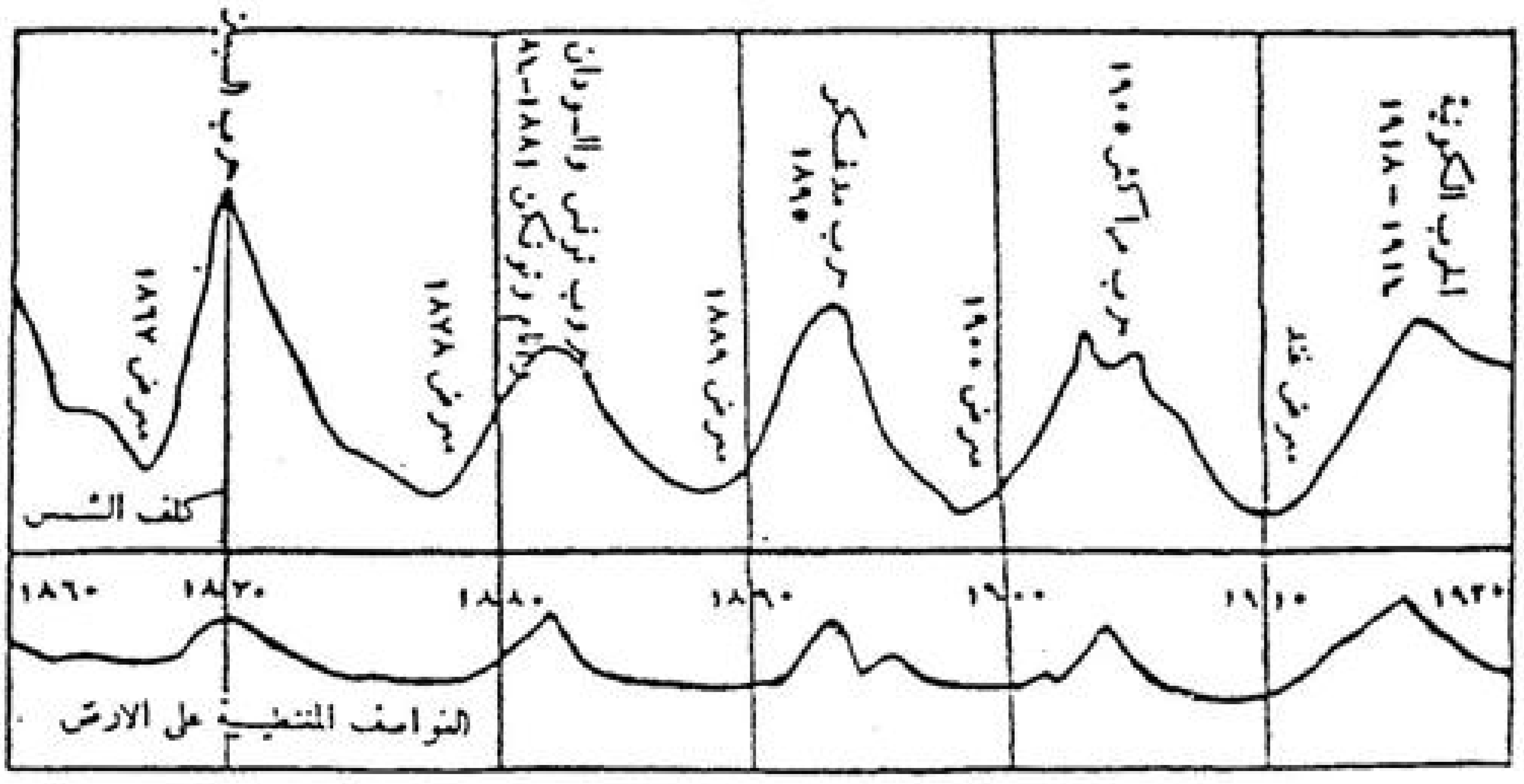

اما فعل القمر فظاهر في المد والجزر ؛ اذ ان هذه الحركة المتعاقبة كل يوم على مياه البحر فترتفع وتنخفض ، وتمتد وتنحصر ، تتولد من التجاذب الحاصل بين الشمس والقمر ، وتجري متفقة ودورة الارض . فحينما يكون القمر فوق مياه البحر مسامتاً لها يؤثر فيها بالجذب ويحملها على الارتفاع فيحدث المدّ ،

ومتى مال عنها حدث الانخفاض اي الجزر . وعلى هذا النحو لا تزال المياه في الابحر تذبذب علوًا وسفلًا حول مركز متوسط ثابت يسمونه « السطح الوسط » ، ومهما بلغت المياه معظم ارتفاعها وانخفاضها وقفت حيناً ثم عادت الى حركتها من علو وسفل ، على ان معظم تأثيرات القمر تقع على أثر دنوّه من الارض . ولكن فعله يختلف كل يوم لتنقله بين الارض والشمس . فمتى كان هلالًا او بدرًا ، يكون والشمس من جهة واحدة ، فيقوى اذ ذاك فعله . فيكون اذن المدّ والجزر ناشئين من اختلاف فعل النيّرين . ثم ان شكل الشواطئ وسعة البحار لها تأثير في المدّ والجزر وسيرهما المتبع . ولما كان بحرنا المتوسط منقسماً الى برك او احواض كثيرة نتج ان المدّ والجزر لا يقعان الا في خليج سيرت (Syrte) المسمى اليوم خليج سيدر (Sidre) على شاطئ طرابلس الغرب ، ويتصل فعله الى شواطئ تونس . ويحدث في سائر الابحر ، ولاسيما في بحر الصين عند ساحل كشنشين وتنكين والصين ، وساحل فرنسة بين سان مالو وشربورغ . ففي سان مالو يبلغ ارتفاعه اثني عشر مترًا ، وفي شربورغ خمسة امتار ونصف متر ، وفي غرانفيل احد عشر مترًا ونصف متر ، وقد يبلغ اربعة عشر مترًا وسبعين سنتيمترًا ، وفي كندا بفرضة فُندي (Fundy) خمسة عشر مترًا ونصف متر ، ويبلغ احياناً تسعة عشر وستين سنتيمترًا .

وينسبون الى القمر تأثيرات اخرى غير محققة . ولكن لما كان نوره اضعف من نور الشمس كان فعله الكيمي اضعف . وتأثيره في حفظ الغابات والنبات زعم . واما القمر الاشقر (roussie) وتأثيره في البراعيم الغضة الطرية فحديث خرافة ، اذ ان اصفرارها ويبسها منشأه الاشعاع العظيم المتولد من اصحاء السماء ، لان الغيوم تحجب نوره وتنقص الاشعاع والبرد ، والله اعلم .

السجون ونظام التأديب

نظر اجتماعي للاب توتل اليسوعي

٣

دار الاصلاح

قلنا ان العوامل الدافعة الى ارتكاب الجرائم بعضها مادية وبعضها معنوية . فمن الطبيعي ان تكافح تلك العوامل باضدادها ، فيبذل اولياء الامر جهدهم : اولاً في العناية بصحة المعتقلين الجسدية ، وفي الاهتمام بسكناهم وطعامهم ولباسهم ؛ وثانياً بصحتهم العقلية والادبية ، وذلك بتعليمهم الديني والمدني وتشغيلهم ؛ واخيراً في مساعدتهم على التوقي من الانتكاس في سالف عاهاتهم بعد قضائهم مدة حبسهم ، ورجوعهم الى الحياة بين الناس .

صحة الاجساد

انها منوطة اولاً بالسكنى . ومن البديهي ان شروط البنايات الصحية واحوالها تختلف مع اختلاف البلاد وسكانها وطبيعة اقاليمها . فان ما يصلح للسكنى في بلادنا قد يكون مضراً ، غير كافٍ ، في البلاد الشمالية ، حيث الشمس لا تظهر الّا محجوبة وراء ستر كثيف من الضباب ؛ واذا ارسلت اشعتها فنورها ضئيل وحرارتها قليلة . فيضطرّون من ثم الى الاكثار من عدد المنافذ وتوسيعها ، والى اشادة السجون في امكنة مشرفة على الرياض .

اما في بلادنا فلا لوم على من ضيق منافذ النور على اشعة شمس تدفق منها كالانهار ، صيف شتاء ، الا بعض الايام القلائل ؛ ولكن حالة بنايات السجون

على ما هي في « الرمل » دون ما هو معهود في مثلها من البلاد الراقية ، فيما يخصّ المجال الضروري لحركة السجناء واستنشاقهم الهواء . فلا بدّ من ان يُلحق بالبنايات التي ليس لها ممشى ، كالبناية الغربية ، وبناية المرضى ، وبناية النساء ، فناء او فسحة للسير .

اما الطعام فلا يكفي ان يعهد بامره الى ملتزم يقدّمه لقاء مبلغ يتقاضاه ، ولا مرجع له سوى الادارة في السجن . لان الادارة ، على استقامتها ، لا يسعها القيام يومياً بالتفتيش عما يقدّم الى السجناء من الاغذية ، فضلاً عن ان الاعمال العادية تسبب الملل وقلة الاكتراث مع طول الزمان ، والسجناء لا يمكنهم التظلّم لدى اولياء الامر مباشرةً . فلا بد من ان تسهل الحكومة سبيل زيارة السجون وافتقادها لمن تنتدبهم هي او تنتدبهم الجمعيات الخيرية الى هذه المهمة . ومن الجاري في البلاد الراقية ان يعطى السجناء ثياباً خصوصية قد يقبلها الفقراء بالشكر لانهم بسبب الحاجة الى ما يسترهم ويدفئهم . اما الموسرون ، فان كان ولا بدّ من ارغامهم عليها ، فسوف يعتادونها كما يعتادون سائر عقوبات السجن القانونية . رأينا السجناء في فلسطين يشتغلون في ترميم الطرق وبعضهم لابس ثياباً خصوصية تميّزهم عن سائر الناس ، وتحول دون تغلغلهم في الجماعات ومواراتهم وهربهم . اما سجناء بلادنا ، فالفقراء منهم واحداثهم خاصة هم في حالة تعرٍّ شائن مما يحط من قيمة الانسان الى درجة يتعذّر معها الحصول على بواقي الكرامة الشخصية الضرورية لممارسة الخير .

ومن شروط الاصلاح في سكنى السجناء تقسيمهم على اساس اخلاقهم وجسامة العقوبة وطبيعة الجريمة ، لئلا يتسرّب الداء من الشقي المقترف الكبائر وما الفه من الشرّ بغرور الشهوة ونزعات الاميال الشريرة ، الى السجين المعتقل لعلل عرضية ، ليست ذات اهمية عظمى . وصف سليم بك عنحوري ، شاعر الفيحاء ، تلك الحالة السيئة فقال في احد السجناء :

طرحوه في السجن ، بين مئات من رجال زعانف سفهاء .
حرّضوه على ارتكاب الدنايا والمآدي ، حتى بسفك الدماء .
كان قبلاً يخاف سرقة مال ؛ اصبح اليوم اعظم الاشقياء .
تلك حال السجون ، من الف عام ، في بلاد الجهال والاغبياء !

ولا بد من مراعاة حالة السجناء العقلية والوقوف على درجة قابليتهم للاصلاح ، عند توزيعهم في المساكن ؛ فيفصل المحكوم عليهم بعدد قصيرة عن المحكوم عليهم بعدد طويلة . ومن الواجب الا يجاوز عدد المعتقلين الخمس مئة لئلا يتعذّر ضبطهم او صرف العناية الكافية بهم . وقد يفيدنا ان نروي في هذا الصدد ما يجري في السجون المصرية اخذاً عن الحكيم باشي علي حلمي بك في كتابه « مصر والنظم التأديبية » . قال (ص ١٢٥) :

«وتنقسم السجون المصرية الى عمومية وثانوية ومركزية يحقق فصل فئات المحكوم عليهم بعدد قصيرة عن المحكوم عليهم بعدد طويلة . وعلاوة على ذلك فان السجون المصرية تشدّد في فصل فئات المسجونين في السجون العمومية والثانوية فصلاً تاماً .

فاولاً – النساء مفصولات عن الرجال باقسام خاصة .

ثانياً – ارباب السوابق مفصولون عن غيرهم من المحكوم عليهم لاول مرة فصلاً تاماً في النوم والرياضة والاشغال ولهم علامات مميّزة على ملابسهم .

ثالثاً – حديث السن مفصول ايضاً في النوم ، وبقدر الامكان في الشغل .

رابعاً – المحكوم عليهم لاول مرة مقسمون الى فئتين ، فئة المحكوم عليهم باقل من سنة ، وفئة المحكوم عليهم بسنة فاكثر ويميز بينهما بعلامات على الملابس .

خامساً – المنقولون من الليمانات [اي الامكنة التي يودع فيها المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة] الى السجون العمومية لبلوغ سن الستين ، او لاسباب صحية مفصولون عن غيرهم .

سادساً – المحبوسون احتياطياً ، مفصولون فصلاً تاماً عن غيرهم وهم يلبسون اما ملابسهم الاهلية او ملابس خاصة بهم .»

وخصصت انكلترة سجوناً خففت فيها ما امكن العقاب على من اتى على ذنب لاول مرة . فاذا احسن سلوكه في السجن سُمح له بحضور الموسيقى وسماع المحاضرات ، وتناول الطعام حول المائدة مع غيره . وتلك المائدة يتصدرها احد السجناء . هذا ما يعمل به في سبيل الاصلاح المادي في البلاد الراقية . لكنه دون الوسائل الادبية نجعة ونفوذاً .

التربية المدنية والمدنية

قال الدكتور غراسه المذكور سابقاً (ص ٨٤٢) : من اراد اصلاح البشرية والتقليل من عدد المجرمين ، عليه ان يعلم وينشر مبادي الادب الاخلاقي الطبيعي والانجيلي ؛ عليه ان يكشف للجميع على صورة الخير ، ليحبوها ويعشقوها ويتوقوا اليها ويتمثلوا بها ؛ عليه ان يبث فيهم حب العائلة والوطن ، وينزع من قلوبهم ايثار الذات وروح الانانية ، ويردعهم عن الانهماك في

الملذات ؛ عليه ان يُريهم ما وزاء الموت ، كمال الحياة واكليلها . واعلم ان التعليم الادبي الاخلاقي انما هو الشرط الاساسي والعامل الاقوى لحفظ صحة الجسد والنفس . فهو الالف والياء والبداية والنهاية في سفر علم العقوبات القضائية.

فيجب من ثم اتخاذ التدابير اللازمة لتعليم السجناء الديني والمدني . واننا اذا نظرنا الى ما يجري في هذا السبيل في سجون بلادنا لا يسعنا الا الاسف لاهمال الحكومة امر التعليم في السجن وعدم تسهيلها على رجال الدين ، في بعض الاحيان ، زيارة السجناء . والكاهن يدخل السجن ليخدم الامة بابنائها المعتلين ، ولا اقل من ان تذلل بوجهه العقبات ووقته قليل وعدد السجناء كثير.

لاضربن صفحاً عن ذكر الشائبات ؛ وحسبي رواية ما كتبه علي حلمي بك عن التعليم الديني والمدني في السجون . وان في كلامه لبرنامجاً جديراً بان يتخذ قاعدة لوضع نظام جديد في سجون بلادنا فلا تكون قفصاً من حديد ولا قبراً للاحياء ؛ ولا جحيماً على الارض ؛ ولكن دار التأديب والاصلاح قال :

ان التعليم الديني والمدني عام في سجون اوربة اما واجبات القسيس بصفته واعظاً ومعلماً ومهذباً وقانون التعليم في مدرسة السجن فمدون في نظام السجون في انكلترة واليك بعض بنوده :

على قسيس السجن ان يكتب دفاتر الوقائع الخاصة بعملة ؛ ان يقدم تقريراً سنوياً عن الحالة الدينية والعقلية في السجون ومدرستها . وله الحق في اي وقت كان بتقديم اقتراح للاصلاح ؛ ان يحضر يومياً الى السجون ؛ ان يناظر ويعظ المسجونين عند اعتقالهم والافراج عنهم ، ان يزور كل سجين على حدة من وقت لآخر في مدة سجنه ويبذل كل مجهود لاصلاحه ، ان يقيم الصلاة للمرضى بالمستشفى يومياً ويزور الموضوعين في غرف الجزاءات ؛ أن يخصص جزءاً عظيماً من وقته لزيارة وتعليم السجناء ؛ ان يجتز من مات من السجناء ؛ ان يسعى لايجاد العمل اللازم للمسجونين عند الافراج عنهم.

وفي ايطالية يجرون على هذا النظام تقريباً.

اما وسائل التعليم فهي : درس في المساء من الساعة السادسة الى الساعة السابعة والنصف المساعدة في استعادة الأنفة والكرامة والاحترام الشخصي بتكوين فرقة تسمى فرقة الشرف تمتاز بعلامات خاصة ، يسمح لها باداء العمل اليومي من غير مراقبة والاكل على المائدة جماعات خاصة ، وقراءة الجرائد . وفي مساء السبت الاجتماع ولعب الشطرنج والداما ، وتقام في السجون صفوف مدرسية يشمل برنامجها مواد تعليم لثلاثة اشهر على معدل ساعة وربع في كل

الاسبوع الخ . . . ومثل ذلك النظام جارٍ في البلاد الاوربية وجدير بان يتخذ قاعدةً للتعليم في سجون بلادنا .

وفي قرار قدمه علي حلمي بك الى الحكومة المصرية في يناير سنة ١٩٢٥ قال :

« بعد زيارتي سجون بعض الممالك رأيت ان القسيس فيها في كل سجن هو من العمال الداخلين في هيئة الموظفين حتى ان قسيسي بعض السجون كانوا يرافقوننا في زيارتنا . اذ ان البلاد الاوربية لم تقرر هذه الوظيفة الا لما تبينته من فوائدها ، بالنظر لما للوعظ الديني من التأثير على نفسية الناس ؛ وان تجول الوعاظ لا يؤدي للغرض الذي يرجى مثل واعظ مقيم بنفس السجن ؛ فان هذا يمكنه علاوةً على الوعظ ان يتدخل في نفسية كل مسجون على حدة وبذلك يكون عوناً على تقويم اخلاق المسجون بما يفيده في الحال والاستقبال ؛ وعلى كل ثم عدم الاحتياج لطول البيان في هذا الخصوص ، فاني لا ارى اقل مانع يمنعنا من الاقتداء باوربة في هذا الصدد . فاني في طلباتي التي اتشرف بتقديمها عن مشاهداتي ، لا يفوتني ملاحظة ما هو جارٍ في اوربة ولا يطبق عندنا . اما بخصوص المدرسة فارى ان يخصص لسجن مصر على سبيل التجربة غرفة ككتاب يوضع فيه الاولاد لغاية سن الخامسة والعشرين ، الذين يجهلون القراءة والكتابة ، مدة ساعتين في اليوم ، ساعة في الصباح ، وساعة بعد الظهر ، حتى لا يحرموا من الاشتغال بالورش .

ونتيجة لما تقدم هو تعيين واعظ ديني مسلم لكل ليمان ، واصلاحية ، ومسجن عمومي . ويكتفي للديانات الاخرى بالوعاظ المتنقلين بالنظر لقلة عدد المسجونين من اتباع هذه الديانات . »

هذا وفي لبنان يكاد عدد المسيحيين السجناء يعادل عدد المسلمين فلا بد من وفائهم حقهم من العناية الدينية ، ولا اقل من ان يفتح باب السجن بسرعة وسهولة للكاهن القادم لالقاء المواعظ ولاقامة الصلاة .

اما التعليم المدني فيجب ان يشمل الاميين اولاً فيعطون الكتب للقراءة ويقام فيهم استاذ وقد يسهل ايجاد هذا الاستاذ ما بين السجناء . ووجود خزانة للكتب من الضروريات في السجون لغير الاميين . فلا يخلو سجن من سجون اوربة من خزانات للكتب المتنوعة ، وقراءتها مسموحة للجميع بلا قيد ولا شرط . ولا حاجة الى الاسهاب في تبيان منافع قراءة ومطالعة الكتب الصالحة فانها تغيّر احوال السجين النفسية وتصرف ذهنه الى المفيد مما يقرأه . ولا بد من انارة بعض الغرف بالنور الكهربائي فتُستطاع القراءة حتى ساعة النوم

فان وجود رجال الدين في السجون ، واقامة الصلاة والقاء الوعظ والمحاضرات واعطاء الدروس ، قد يقتضي مكاناً خاصاً واسعاً ، فيه مقاعد ، لائقاً بالاجتماع. وليس من العسير ان يبنى ذلك المكان في سجن بيروت ، فيكون متصلاً بسائر البنايات . ويقيم فيه رجال الدين ، وتوضع فيه خزانة الكتب . ويُتاح للمعتقلين ان يزوروا المرشد في ساعات معهودة . وان ما تقتضيه هذه النفقات لا يكاد يذكر تجاه ما يعود به من الخير على البلاد باصطلاح المجرمين وتقليل عدد الجرائم .

وذلك لن يتم الا عن اتفاق مع الرؤساء الروحيين وممثلي الجمعيات الخيرية وسوف يؤدي تنوع الاديان واحتكاك المذاهب الى مواقف حرجة ، فتوضع شتى العوائق في اعمال رجال الدين الداخلين السجون للقيام بمهمتهم ، من اي دين كانوا . والسجين دامي الفؤاد ، موغر الصدر ، كلمة واحدة تثير غضبه واحتدامه وتلقي شرارة في السجن ان حلت في غير محلها ، والسير بالسفينة بين الصخور والبحر مائج يحتاج الى يد رجل خبير ، فلا بد من انتخاب الرجال الاكفاء للارشاد في السجون فلا تفتح ابوابها لاي واعظ كان . ولكن مع اتخاذ الاحتياطات الكافية ، لا بد من فتح السجون لرجال الدين ، وروح التضامن بين السلطتين الروحية والزمنية ، وصدق النية المتبادلة ، والغيرة على صالح الامة سوف ترشد الى معرفة الطرق الاقرب منالاً لتحقيق الاماني . فيُسن قانون التعليم الديني والمدني في السجون ، ضامناً حرية الاشخاص ، مؤدياً الى الخير العام . ومن العسير جداً تقرير ذلك القانون مفصلاً بكامل بنوده قبل اجرائه في الواقع لان الخبرة هي المعلمة في هذا الدرس العويص ولكن لا بد من وضعه اجمالاً وعلى وجه العموم مع ترك السبيل مفتوحاً الى تغييره مع الظروف. وعدم وجود قانون التعليم في السجون نقص عظيم لا ترضى به لنفسها امة متمدنة .

الشغل في السجون

البطالة تولد المفاسد . اما الشغل ففيه الحركة والبركة . وقد يحق للحكومة

ان تفرضه واجباً لازباً على السجناء ، ايًا كانوا ، لانهم في حالة العقاب والتكفير . وللشغل فوائده العامة لحفظ النظام وانتاج عمل اليد . وان يكن بعض السجناء يفضلون البطالة على الشغل ، فمنهم الكثيرون يلتمسون السبيل الى العمل في صنعة تعود عليهم بالتسلية والمنفعة . واذا ما ذاق المسجون طعم مكسبه ، فلن ينفك عن الاجتهاد والعمل املاً بزيادة المكافأة .

على ان امر تشغيل السجناء متصل بمشاكل عديدة مترامية الاطراف . وورشة الشغل تقتضي مراقبة خاصة ، وتعاهداً مع من يضمن تقدمة المواد الاولية وابتياع منتوجات العمل باثمان تعود بالنفع عليه وعلى السجناء . ذلك مما يفرض على اولياء الامر الالمام باطراف المسألة فلا يتم الا بعد الدرس الطويل واختبار طرق التشغيل ، والتمييز بين خيرها وشرها .

اما في سجن الرمل فلا شغل سوى الحلاقة والخياطة والتكنيس وبعض اعمال الخدمة لعدد زهيد من السجناء . اما السواد الاعظم منهم فهم قاعدون يصلون آناء ليلهم باطراف نهارهم ، بطالين . وكذلك ايضاً غالباً في سائر سجون البلاد السورية اللبنانية .

وحصرت حكومة فلسطين سجناءها في عكة وفي القدس فلمت شعث السجون وقللت من عدد الموظفين ، وسنت قانون التشغيل واجرته بكماله . والسجناء ثلاثة اقسام ؛ وشغلهم اما في الاشغال العامة ، واما في الصنائع . وقد تراعي الحكومة في معاملتهم نظام الضبط والتشجيع والمكافأة الى ان يفرج عنهم . فمن كان منهم في القسم الاول كُبّل بالحديد ، والجئ الى الاشغال الشاقة خارجاً عن الحبس ، مدة ستة اشهر ، ومن بعدها يستطيع ان يرقى الى القسم الثاني ثم الى الاول . والشغل في القسم الاول اخفّ وطأة واوفر ربحاً . فيه الحدادة والنجارة والحياكة والخياطة وصنع السلال الخ . وقد يجعل تقسيم السجناء غير ذلك من الامتيازات فيما يخصّ النوم والطعام والثياب وتكرار زيارة الاهلين والاصدقاء والمراسلات واعطاء المال عند الافراج وعندهم اساليب دقيقة لمراقبة الاعمال والمحاسبة عليها ، بواسطة نقط يومية يرسمها المراقبون بغاية ما يمكن من العدل والاستقامة .

وان ما نقوله على السجون اجمالًا يقتضي التفصيل فيما يخص سجن الاحداث والنساء . وهذه الناحية ما زالت الى يومنا مظلمة في بلادنا ، لا يدخلها شعاع شمس الله ولا تفتيش البشر الا نادرًا . وحسبنا الاشارة بما يمكن الحكومة ان تستغله من الفوائد لابنائها وبناتها المعتقلين اذا ما عهدت بامرهم الى رجال اختصاصيين ، اعني بهم الرهبان والراهبات فان بعضهم قدموا حياتهم لله تعالى ليصرفوها في نشد الخروف الضال وتأديب الجهال وتعليمهم ، واصلاح المعتقلين في السجون . وقد يطول بنا الحديث ، اليوم في سرد اخبارهم والبعض منهم يعهد اليهم بامر حراسة السجون او العناية باطعام السجناء . ولا يسعنا الا ذكر راهبات الراعي الصالح المخصصات لايواء الشاردات والتائبات ، والرهبان المقامين على دور تأديب الاحداث في اوروبا . وقد تجري عليهم الحكومات النفقات عن كرم واريحية لما نعهده في مشاريعهم من الاعمال العائدة بالخير على البلاد .

وماذا بعد ؟

تصور ايها القارئ اللبيب رجلاً او امرأة او شاباً او صبياً قضى في السجن اشهرًا او اعواماً ، مفترقًا عن ذويه منعزلًا عن الحياة ، وقد ذاق الامرين من فقدان حريته ومن سائر عقوبات السجن ، وهو اليوم يعود بين الناس ، ولا رأس مال بين يديه ، ولا اعتبار له عند الاقارب والمعارف ، ولا ثقة فيه من العالم ، وربما صادف عند خروجه الظروف الممقوتة ذاتها التي كانت ادت به الى الحبس : العوز المدقع الذي اغراه بالسرقة ، العشرة الشريرة التي اثارت في قلبه الضغائن ودفعته الى القبائح ، الديون المتراكمة عليه مع فوائدها . . . فمن يفرج عنه من هذه القيود الادبية بعد اخراجه من سجون الحكام .

قد طالما اهتمت الامم المتمدنة بهذا المشكل كما اهتمت بغيره من المشاكل التي ينسجها القانون القضائي على منوال الحياة . وعنيت بانشاء وتشجيع الجمعيات المؤسسة للمساعدة على اصلاح السجناء بالاشراف عليهم وهم في السجون وعلى مؤازرتهم عند خروجهم منها . فتسعى بان توجد لهم عملًا او

ترجعهم الى عملهم السابق ، وتصرف الهمة الى ترتيب سكناهم مع طعامهم ولباسهم ، وتهبهم بعض النقود او غير ذلك من المواد التي تفتح لهم باب العمل والمعيشة ، كبضائع للمتجر ، وتجهزهم بوسائل النقل والسفر ، وتنفق عليهم ما تقتضيه الحالة لاستخدامهم ، وتبتاع لهم آلات الشغل وتدفع عنهم الغرامات ، وتعاون عائلاتهم وتوكل امر مراقبتهم بالمحبة واللطف وارشادهم بمن تعهد فيهم الكفاءة لذلك من اعضائها.

وحيث لا يقوى كاهل الجمعيات الخاصة على القيام بهذا العبء الباهظ فالحكومة نفسها تشكل لجنة تلحقها بمصلحة السجون وتدعو رجالات البلاد ، وعلى الاخص الموظفين ، لمساعدتها على القيام بهذه المهمة المحمودة وتستنجد الجمعيات الخيرية في هذا السبيل. اما في بلادنا فما زلنا في الطور الاول من العمل في اصلاح حالة السجناء . على ان الرقي متواصل في البلاد بفضل رعاية وارشاد الدولة الافرنسية والآمال معقودة في ان حركة الاصلاح التي دبت في السجون سوف تقلب سحنتها المشؤومة فلن تكون موضع التكفير فقط ، ولكن دار الاصلاح والتأدب ايضاً . وعلى الامة واجب مقدس نحو ابنائها الضالين التائبين وهو ان تساعد ما امكنها على انشاء الجمعيات لمساعدة السجناء الادبية والمادية؛ وعلى الصحافة والمجلات ان تلفت قراءها الى تلك الناحية المظلمة من نواحي حياتنا الاجتماعية ، فتستفيد المصلحة التأديبية العامة من مؤازرة الجميع ويتحقق في سجون بلادنا وصف الشاعر ، وفيه خلاصة مقالنا وختامه . قال سليم بك عنحوري :

« انما السجن زاجر لذويه ، عن فعال الطغام والاردياء
فيه علم ، صنائع واشتغال ، يكسب المرء شيمة الادباء
محكم الوضع ، متقن الصنع ، زاه ، صالح العيش جالب للهناء
فيه كتب تهذب الخلق قسراً ، فيه طب يزيل اعضل داء
فيه قوم ليرشدوا كل غاو بحديث ذي حكمة وجلاء .
هكذا السجن في بلاد حباها مالكوها ذرائع للارتقاء . »

صفحة من تاريخ

الرهبانية الباسيلية الشويرية

بقلم الاب اثناسيوس حاج ق. ب.
مدير الدروس في المدرسة الاكليريكية

٣

٥ – بعض رجالها المشاهير (تابع)

٣ – الشماس عبدالله زاخر (١٦٨٤ – ١٧٤٨)

ولد في مدينة حلب سنة ١٦٨٤ من والدين مسيحيين ، وكان ابوه بارعاً بصناعة الصياغة والنقش فعلمه اياها . وقد مارس عبدالله التصوير ايضاً فاتقنه ، ومن تصويره صورته التي صورها بيده ناظرًا الى وجهه بمرآة ، او كما يقول البعض ، بالماء ، وهذه الصورة القيمة لم تزل محفوظة . ويحكى عنه انه صنع ساعات مائية ومطبعة كاملة في حلب بمساعدة اخيه فكان له في كل ما زاوله الباع الطولى ، لان الله آتاه ذكاء غريباً وذوقاً كبيرًا.

ولما كانت سنة ١٧٢٣ ، خرج من حلب المطران جراسيموس ، ومعه الشماس جرمانوس ، والشماس عبد الله زاخر . وكان سبب خروجهم كما يخبرنا تاريخ الرهبانية الاضطهاد الشديد الذي اثير على المستقيمي الايمان . اما المطران فمضى الى دير البلمند ، مع شماسه جرمانوس . واما عبد الله زاخر الذي كان يبغضه الخصوم ويطلبون قتله لتفنيده آراءهم بكتاباته وبراهينه المفحمة ، فانه لجأ الى دير مار يوحنا في ٢١ ت٢ . فمكث في الدير حتى ٢٠ تموز سنة ١٧٢٤. ثم انتقل الى زوق مكايل مخافة ان يلحق بالرهبانية اذى بسببه . وهناك شرع في عمل مطبعة الصابغ صانعاً بيده الآلات اللازمة لهذا العمل الخطير ، ولم يكن

له معاون سوى رجل صائغ كان يقدم له بعض آلات ويكل اليه الامور البسيطة.

وفي سنة ١٧٤٧ عاد من الزوق الى دير مار يوحنا، وبدأ ببناء قلاية كبيرة ورواق وأخذ في تأسيس المطبعة . فارسل الى حلب يستجلب بعض الآلات التي لا بدّ منها . غير انه لم يلبث ان اضطر الى الرجوع الى الزوق لان الامير نجماً ارغم الرهبان على اخلاء الدير، ولم يرجع الى الصابغ الا سنة ١٧٣١ اذ استُردّ الدير وعادت الاحوال الى مجاريها . ولم تكن سنة ١٧٣٢ حتى كانت المطبعة كاملة بجميع مقتضياتها، فابتدأ بطبع ٨٠٠ نسخة من كتاب ميزان الزمان . واخذ يطبع الكتب الكثيرة المفيدة فيشدّها بيده ويوزعها على المسيحيين، وقد علم كثيرين فنّ الطباعة ليواصلوها بعده حباً بالخير العام وخدمة للدين.

قداسته

كان محباً للقريب، غيوراً عليه، متفانياً من اجله . فكان اذا اتاه فقير وليس لديه مال يتصدق به عليه، يعطيه من ثيابه لئلّا يرده خائباً . وكان عذب الكلام، وديعاً، متواضعاً على غزارة علمه وسمو مكانته . ولهذا كان الجميع يحبونه ويتسابقون لمجالسته . وقد كان حافظاً المشورات الانجيلية غير ان تواضعه صدّه عن إقتبال الدرجات الاكليريكية، محتسباً نفسه غير اهل لهذه الرتب السامية . ومما يخبر عنه انه لم يرضَ بابراز النذورات الرهبانية الا قبيل موته . ولم يكن يعرف البطالة بل كان يصرف ايامه في الصلاة والمطالعة والتأليف والتعليم والطباعة . وكان ينهض ليلًا قبل الرهبان، فيصلي صلاته العقلية، ويذهب بعدئذ مع الرهبان الى الكنيسة لحضور صلاة الفرض بكامله غير مشفق على جسمه الضعيف، وعلى شيخوخته من التعب، ولا من البرد القارس ايام الشتاء . وقد اتفق له مرة ان سقط، وهو ذاهب الى الكنيسة ليلًا، فاصيب بجرح كبير في راسه فلم يرجع الى قلايته، ولئلا يصدّه احد عن الذهاب الى الفرض، وهو على تلك الحالة، لفّ رأسه وستره كانه خائف من البرد.

وكان عاكفاً على المناولة المتواترة ، متعبداً لمريم العذراء مشتركاً بكثير من اخوياتها ، مميتاً ذاته بتقشفات صعبة من مثل الصيام الى ما بعد الظهر بساعتين ، والامتناع عن اللحم والخمر بالكلية ، مترديا بالمسح ، مكتفياً بخمس ساعات من النوم كل يوم رغم ما كان به من الامراض.

علمه الزاخر

لقد قرن هذا الرجل بين الفضيلة والعلم الغزير ، فكان عالماً حقيقياً ولذا لقب بالزاخر اشارة الى بحر فضائله وعلومه . ومما يعجب له في هذا الرجل انه اكتسب اكثر العلوم التي كان جامعاً لها بالمطالعة والتنقيب والتفكير وبما اعطاه الله من ذكاء غريب.

وانه بنوع خاص قد تعمق في علم اللاهوت بجميع ملحقاته من مثل علم الكتاب المقدس ، والآباء والمجامع ، وعلم الدفاع ، حتى انه لم يكن له مثيل فيها ببلاد الشرق ، وحسبنا برهاناً الكتب التي الفها او نقحها او عربها وما اكثرها واجزلها فائدة.

منزلته السامية

كان الجميع يجلونه اجلالاً عظيماً ويحسبون له حساباً كبيراً . فاعداء الدين كانوا يخافون ان يعرضوا نفوسهم هدفاً لقلمه البليغ وحجته القوية . ورجال الدين من بطاركة واساقفة وغيرهم كانوا يحبونه ويكلون اليه حل المشاكل . فكانوا يكاتبونه ويستطلعون آراءه وكانوا اذا كتبوا للرئيس العام يخصونه بالسلام: «تهدون البركة لمحبة الآباء والى الشماس عبدالله زاخر» واذا قرّ رأيهم على شيء يكتبون «رأى الآباء والشماس عبدالله زاخر»

موته

من يحيي حياة القديسين يمت ميتتهم ، فالشماس عبدالله زاخر قد مات متمماً واجباته الدينية مزوّداً بالاسرار المقدسة في ٧ آب سنة ١٧٤٨ . اعترته حمى شديدة ، وظهرت عليه علامات الموت وغاب عن الصواب . فحزن الآباء جداً . غير ان الله تعالى اعاده الى الانتباه ، فنهض واعترف اعترافاً عاماً ، وطلب ان يذهب الى الكنيسة ليتناول هناك اجلالاً للقربان الاقدس . اما معلم

اعترافه فامره بالبقاء على فراشه ، ولما لحضروا له الزوادة الاخيرة ، هبّ من فراشه وجثا وناجى يسوع بخطاب يتدفق تقوى وعبادة فابكى جميع الحاضرين ، ثم تناول وشكر طويلا واقتبل سر المسحة. واخيراً فاضت روحه الطاهرة كما يفيض المصباح نوره الساطع بعد ان يكون اضاء طويلا.

٤ — الاب رومانوس بن حنا لوقا (١٨٠٤—١٨٧٤)

هو من بغداد، اتى الى الرهبانية فابتدأ في ١٨ ك ١ سنة ١٨٣٠ ، وبعد ان قضى مدة قصيرة في التجربة بروح الورع والقداسة ابرز النذور الاحتفالية سنة ١٨٣٢ . ولما رأى الرؤساء كبير فضيلته ، دعوه للدرجة الكهنوتية ، وارسلوه الى بغداد ليخدم النفوس فيها . غير انه لم يلبث طويلاً حتى سافر ، باذن الرؤساء ، الى الهند طلباً لاخ له ، وطمعاً في عمل الخير. فلما وصل الى كلكوتا وقضى مدة فيها ، شعر اسقف اللاتين بفضيلة وغيرة هذا الراهب ، فسأله ان يساعد المرسلين لخدمة النفوس مهتماً بنوع خاص بجالية حلبية مقيمة هناك ، فلم تأبَ غيرته هذه المهمة السامية ، وقد افاد كثيراً بتفانيه ومثاله الصالح.

قد قضى في كلكوتا سبعاً وعشرين سنة جمع في خلالها احسانات كبيرة للطائفة وللرهبانية . فقد ارسل لمطران بيروت ثلث نفقات الكنيسة ، وارسل للرهبانية اواني مقدسة ذهبية وفضية كثيرة . ولما حضر من الهند، مرّ بمصر ، فشيد فيها داراً للرهبانية ، ثم حضر الى الصابغ باحسانات جزيلة وشيء كثير من الاواني الكنسية والبدلات الكهنوتية الجميلة ، فوضع كل ما كان جمعه بين ايدي الرؤساء غير حافظ لنفسه شيئاً ، شأن الرهبان المتجردين.

لم يكد يصل حتى سمّي رئيساً لدير القديس انطونيوس في كفرشيما ، فكان مثال الرئيس المتواضع المتفاني . وقد مرّت عليه وعلى الدير ايام ضيق وجوع ، فكان هو اكبر المتوجعين لرؤية رهبانه في الحاجة . وكثيراً ما كان يبكي بدموع غزيرة طالباً الى الله اعانة رهبانه ، ولما كانت الاديار ملجأ الفقراء وقت الحاجة ، كان لا يألو جهدا حتى يطعمهم ايضاً ، ولذلك كان يحرم نفسه من طعامه ليعطيه للفقراء .

كان الروساء قد سمحوا له ان يحتفظ بصليب ذهبي حاو ذخيرة مقدسة ، فدفعته محبته للفقراء وتجرّده الرهباني الى ان يبيع ذلك الصليب الجميل ، جاعلاً الذخيرة في صليب بسيط ، ويطعم بثمنه رهبانه والفقراء.

واراد الله زيادة استحقاقاته فسمح بان الذين احسن اليهم هذا البارّ يقومون عليه فيهينونه ، واتصلت القحة باحدهم ان رفع يده عليه ، فابدى هذا الاب احتمالًا عجيباً وصبراً جميلًا وغفر لاولئك الجهلة وبالغ في اكرامهم.

اما موته فكان في ٣٠ كانون الثاني سنة ١٨٧٤ . بكاه كل من عرفه ، وتقاطر الناس الى التبرّك بدفنه عادّينه قديساً ، ولا عجب ، فان جثته بقيت غير بالية زماناً طويلا ، وان اهل كفرشيما لا يزالون يوقدون مصابيح على قبره مستشفعين به كلما وقع احدهم في مرض عضال . وهم يحدثون دائماً بالعجائب التي يقولون انها جرت على يده.

٥ — الخوري جاورجيوس عيسى (١٨٢٧ — ١٨٧٥)

هو ايلياس بن ابرهيم عيسى السكاف ، ولد في معلقة زحلة سنة ١٨٢٧ ، ودرس على كاهن رعيته مبادئ الدين والعلوم . كان منذ صغره تقياً ميالًا الى العيشة الرهبانية ، وكان يشتدّ فيه هذا الميل وينمو كلما ازداد في السن الى ان اتيح له الذهاب الى دير الصابغ في ٢٨ ايلول سنة ١٨٤٥ ، فلبس ثوب الابتداء. واخذ يمارس التقشفات الرهبانية شأن المتفردين في الزهد والاماتة . وفي ٦ تموز سنة ١٨٤٧ ابرز النذورات الرهبانية الاحتفالية المؤبدة.

ولما كان على جانب كبير من الذكاء والاجتهاد ، سهل له رؤساؤه الوسائل لدرس العلوم فاحرز منها نصيباً وافراً . ثم ارسل الى بيروت ليعلم فيها ، فكان في اوقات الفراغ يتردد على صديقه الشيخ ناصيف اليازجي ، فاخذ عنه شيئاً كثيراً في اللغة والعروض والبيان . اخيراً اكب على درس اللاهوت متأهباً لقبول الدرجات الكنسية ، فسامه المطران اغابيوس الرياشي شماساً ثم قساً سنة ١٨٥٧.

لم يمض على ذلك سنة حتى عرف الجميع فضله وفضيلته ، فاجمعت الطائفة

على انتخابه قاضياً لها في محكمة لبنان ، فحقق ثقة القوم فيه باخلاصه وتفانيه. وفي سنة ١٨٥٩ دعاه صوت الطاعة الى دير الصابغ ليكون مدبراً للرهبانية ، فلبى الامر وقام بمهمته احسن قيام.

ولما كانت البلاد في حاجة الى مدرسة وطنيـــة عالية ، وكان ذا غيرة على وطنه وطائفتـــه ، سافر سنة ١٨٦٠ ، بأذن الرؤساء ، الى باريس ، ومنها الى ايرلندة حيث جمع المال الوافر لانشاء مدرسة كبيرة في بيروت . وقد مرّ في عودته على رومية ، فزار الحبر الاعظم الذي سرّ به كثيراً وبارك مقـاصده الصالحة ، وذلك سنة ١٨٦٥ . ولم يكد يصل الى بيروت حتى شرع ببناء المدرسة البطريركية ، ولم تكن سنة ١٨٦٦ حتى فتحت ابوابها للطلبة. فكفاءَ خدمته الوطنية هذه قد منحته الدولة العثمانية الوسام المجيدي الخامس كما ان البطريرك سماه ارشيمندريت الكرسي الانطاكي.

بيد ان الاتعاب والمشقات الجزيلة انحلته فاضطر ان يستقيل . وعاد الى الصابغ حيث انقطع الى تعليم الرهبان وعمل الرياضات الروحية في القرى ايام الصيامات.

ولما كانت سنة ١٨٧٠ دعاه المطران اغابيوس الرياشي اليه ، فسماه وكيله العام في بيروت . وهناك انفسح له مجال الجهاد في سبيل الخير . فاول مبرّة اتاها ، ولم يكن سبقه اليها احد من الطـائفة في بيروت ، هي تأسيـه سنة ١٨٧٠ اخوية العذراء المجيدة للرجال وللنساء ، وقد نظّم هذه الاخوية وسنّ لها قوانين ، وكان يجمع الاعضاء والمشتركين فيعظهم ويباحثهم ويصلي معهم ، وقد فتح لهم غرفة قراءة للمطالعة الروحية ، فافاد جداً بوعظه ومثاله الصالح.

وان الراعي الصالح هو الذي يبذل نفسه عن الغنم . هذا ما فهمه الاب جاورجيوس عيسى واتخذه شعاراً له واضعاً اياه بالعمل . لم تكن سنة ١٨٧٥ حتى انتشر داء الهواء الاصفر في بيروت فملأ القبور ، والمستشفيات ، والبيوت ، واخذ الكثيرون يهربون الى الجبال . اما الاب عيسى فعرف ان يتمم واجب الراعي في مثل هذه الاحوال العصيبة ، فكنت تراه يطوف المدينة حاملاً عليه ، مع الادوية الروحية ، ادوية زمنية ايضاً للفقراء المصابين ، وكان يصرف نهاره

والشطر الكبير من ليله في عيادة المرضى . واذا مات احدهم فكان هو اول من يسارع لنقل جثته عند تعذر وجود من يحمل الميت الى القبر.

اخيراً بينما كان ذات يوم عائداً من عند احد المصابين شعر بالداء ، وكأن الله عرفه بذلك ان اجله قريب. لأن هذا الكاهن الورع كان يطلب من العذراء ان تعرفه باجله ، ولو قبل وفاته بقليل ، فلم تشأ العذراء ان تردّ طلبة هذا العبد الذي كان شديد العبادة لها ومضطرماً غيرة على نشر عبادتها بين المؤمنين . فعند رجوعه الى قلايته مرّ بنجار واوصاه ان يعمل له تابوتاً على قياسه ويأخذه له حال اتمامه . ثم ذهب الى غرفته واخذ يتهيأ الى الموت بكل طمأنينة قلب شأن العبيد الامناء . ولم يكد النجار ينتهي من التابوت حتى مات الاب عيسى ميتة الابرار ، وهو يردد اسم العذراء مريم. فاسرع الجميع اليه ، وكان النجار من اول الحاضرين ، فاخذ يقص عليهم ما جرى له مع الاب البار وكيف عرف بدنو اجله مع انه كان بتمام العافية عندما اوصاه بعمل التابوت.

٦ — البطاركة والاساقفة ابناء الرهبانية

١ — البطاركة

مكسيموس حكيم	توفي ٢٧ ت ٢ سنة ١٧٦١	
ثاوضوسيوس دهان		١٧٦١–١٧٨٨
اغناطيوس صروف	توفي	١٨١٣

٢ — الاساقفة

ثاوفيطوس نصري	من حلب	مطران صيدنايا	١٧٢٣–١٧٣١
جراسيموس احد مؤسسي الرهبنة	من حلب	مطران حلب	–١٧٥٤
باسيليوس بيطار		« بعلبك	١٧٥٤–١٧٦١
مكسيموس حكيم		مطران حلب ثم بطريرك	
اثناسيوس دهان		« بيروت ثم بطريرك ثاوضوسيوس	
مكسيموس حنانيا صاجاتي	من حلب	مطران حلب	–١٧٦١
اغناطيوس جربوع	من حلب	مطران حلب	١٧٦١–١٧٧٢

فيلبس قصير	من حلب	مطران بعلبك	١٧٦١–١٧٧٧
ديمتريوس قيمجي	من الشام	مطران جبيل	١٧٦٨–١٧٧٩
يوسف الحكيم	من حلب	مطران قاره	١٧٦١–
اغابيوس قيصر	من حلب .	مطران دياربكر	؟ ١٧٧٥–١٨١٠
اكليمنضوس طيب		آخر مطران على جبيل	١٧٩٨–١٨٠٢
اثناسيوس بن عوره		مطران بعدوسة القديس اثناسيوس برومية	–١٨١٦
اكليمنضوس بيدبروس	من حلب	مطران جبيل	١٧٩٨–
بناديكتوس التركماني	من حلب	مطران بعلبك	١٧٨٥–١٨٠٨
ثاوضوسيوس بن بدره	من حلب	مطران بيروت	١٨١٤–١٨٢١
مخايل التركمان	من حلب	مطران حلب	–١٨٢٣
شكرالله بن نعمه شكر	من حلب	مطران حلب	١٨٢٣–
اثناسيوس عبيد	من عكا	مطران بعلبك	١٨٢٣–١٨٤٩
اغناطيوس دهان	من بيروت	مطران بيروت	١٨٢١–١٨٢٦
اغابيوس الرياشي	من الخنشاره	مطران بيروت	١٨٢٨–١٨٧٨
يوستينوس شاهيات	من حلب	مطران زحلة	١٨٢٦–
باسيليوس كفوري	من الخنشاره	مطران مصر	١٨٣٧–١٨٥٩
اغابيوس معلوف	وادي الكرم	مطران بعلبك	١٨٩٦–١٩٢٢
اثناسيوس صوايا	قاع الريم	مطران بيروت	١٩٠٥–١٩١٩

الاحياء

فلابيانوس كفوري	من الخنشاره	مطران يبرود سابقاً	١٩٠١
باسيليوس قطان	ذوق ميكائيل	مطران بيروت	١٩٢١
ديونيسيوس كفوري	من الخنشاره	مطران طرسوس	١٩٢٦

(للبحث صلة)

من حدائق النساك

الاب لورنسيوس الحيمري الديراني

الناسك الجبي اللبناني

بقلم الاب لويس الحداري الديراني
المدبر الحلبي اللبناني ، والوكيل الاسقفي في كرسي ابرشية صيدا المارونية

٢

دخوله الرهبانية الحلبية اللبنانية

لم نطل الحديث عن حداثة الاب لورنسيوس لانّا لا نعلم منها اكثر مما قلنا . وهذه الكلمة الصغيرة التي دوّناها عن منشأه وتربيته الاولية قد استقيناها من الذين عرفوه وعاشوا معه . اما عن حياته الرهبانية والنسكية فسنطيل الكلام بقدر ما يسمح لنا المجال . ولكن أيمكننا ان نسطر في هذه العجالة ، كل ما كان يحوي ذاك القلب الطاهر من الوداعة والتواضع والمحبة ، ولاسيما من البساطة ؟ أنستطيع ان نماشيه في كل اعماله وحركاته ، لا لعمري ! ولكن كمن يتنزه وسط بستان ، بين الازهار والرياحين ، هل يجمعها كلها في طاقته ، لا بل يأخذ منها ازكاها عرفاً واجملها منظراً ليزين بها صدره ، ويمس الباقي بيديه او بثوبه حتى يتضوّع طيبها ليتنشقه . وهكذا نفعل نحن فانّا لا نتبع الناسك في كل حركاته وسكناته بل نتكلم عنه وعن فضائله بوجه العموم . ولا نكتب بقصد ان نعظم ذكره كما قلنا في المقدمة ، فهو لم يحلم بذلك مطلقاً في حياته ، وكيف به الآن وهو في مكان يزدري سكانه كل اباطيل العالم ؟ وانّا نفعل ذلك حباً بنفع النفوس التقية .

قلنا بلغ لورنسيوس سن الخامسة عشرة فاشتد فيه الشوق الى ترك العالم واتباع سيده له المجد . فهجر وطنه وآله ودخل الرهبانية في سنة ١٨١٥ . فاتى دير سيدة اللويزة الكائن في معاملة كسروان ، وطلب الدخول في مصاف المبتدئين . فقبله الرئيس العام ، الاب اغناطيوس سركيس عواد ، وألبسه ثوب

التجربة . وحينئذٍ اخذ يجاهد بشجاعة مدهشة ليتمم قوانين المبتدئين .ويقتبس الفضائل والكمالات . وهكذا بعد ان قضى سنتين يمارس جميع اصناف الاعمال التقوية والتقشفات الجسدية الى ان قوي وترعرع في الفضيلة واصبح مثلاً صالحاً لاخوته المبتدئين ، ابرز النذورات الرهبانيــة في اليوم الثامن من شهر كانون الاول سنة ١٨١٧ . والبسه الاسكيم الملائكي قدس الاب العام الآنف الذكر . ثم انصبَّ بعـد ذلك على درس العلوم اللاهوتية اللازمة لدرجة الكهنوت المقدسة . ولما اتمها رُقي كاهناً بوضع يد سيادة الطيب الذكر المطران اسطفان الخازن ، في دير القديس موسى الحبشي ، الكائن في قرية بلوني من اعمال كسروان . وذلك في اليوم الرابع والعشرين من شهر حزيران سنة ١٨١٩ . ومن ذلك الوقت اخذ يحرث في كرم الرب بامانة وحرارة وغيرة لا تعرف الملل .

ولما رأى ان الاحسان الى القريب واجب ، بعد محبة الله ، طلب ان يعلم الاحداث في مدرسة زوق مصبح الخارجية ، فقضى مدة فيها كان في خلالها معلماً صالحاً بل مرشداً حكيماً يحبه تلاميذه كحبهم لوالديهم ويغار هو عليهم كالاب الرؤوف . ومما يروى عنه انه كان مرة بعد الظهر نائماً من دوار اعتراه فاستفاق من نومه بغتة ، وقـال للاولاد : « اخرجوا من هنا كلكم . » فاطاعوا مسرعين . وحالا بعد خروجهم سقطت جدران تلك المدرسة . فتعجب الاولاد وسألوه كيف عرف ذلك وهو نائم . فقال : نبهني الله اليه في الحلم . فتعالوا اذاً نشكره لانه نجانا من الموت الفجائي . فخروا كلهم على ركبهم يباركونه تعالى .

وبعد ان علّم مدة وافاد كثيراً احتاجت اليه الرهبانية فانتخبته رئيساً على دير القديس انطونيوس في مدينة رومية العظمى . وذلك على عهد البابا غريغوريوس السادس عشر ، ورئاسة الاب العـام اجناديوس الزوقي . وكان انتخب قبل هذا العهد ثلاث مرات كاتباً للقرعة في المجمع العام ، وذلك لزيادة الثقة بحسن تقواه وضميره الحي . اما من جهة انتخابه رئيساً فتمنع اولا بروح التواضع . ولما رأى اخيراً ان لا مناص له ، قبل اتماماً لامر الطـاعة المقدسة فقط ، وتوجه الى رومة سنة ١٨٣٥ . وهناك في تلك المدينــة الابدية ، مقر

الكبرياء ومنبت التواضع ، حيث تلتقي العظمة والجمال في مكان نضبت فيه القساوة القديمة الوثنية وفار في محلها ينبوع الحلم المسيحي ، هناك فوق قبور الشهداء العظام وبين منابر العلماء الافاضل ، تعلم لورنسيوس التمسك باهداب الفضيلة المتينة . وفي اثناء وجوده في رومية كان صديقاً للكردينال ماستايي الذي جلس على الكرسي الرسولي تحت اسم بيوس التاسع . ولما رأى لورنسيوس نفسه محاطاً بالكرامات ، خاف على ذاته من ان ينفخه روح العجرفة ، فطلب بتواضع عميق وخضوع كامل من الاب العام اعفاءه من الرئاسة ، متعللاً بانه غير اهل لها . فاعفاه الاب العام ، وأذن له بالرجوع الى لبنان حسب رغبته ، فرجع وقلبه يرقص فرحاً ؛ لا بما انه تخلص من نير المسؤولية الصعب ، ولكن املاً بقرب عهد انجاز عمله الكبير الذي كان يحلم به منذ الصغر ، ألا وهو الزهد الكامل في العالم . لم يكن لورنسيوس ليحب التدخل في امور الدنيا بل كانت نفسه تطمح دائماً الى الانفراد والتأمل . قد خُلق ليعبد الله في العُزلة . وها هوذا الآن يترك الدير باذن رئيسه العام ، ليقضي باقي حياته في الوحدة على مثال ابيه انطونيوس الكبير . فانشأ اذًا له المحبسة المار وصفها قرب دير مار بطرس كريم التين ، ودخلها سنة ١٨٤٢ ، وفي معيته القس حنانيا القليعاتي .

جهاد النسكية

هذا هو الدور الجديد ، بل هـذا هو الدور الوحيد في حياة الاب لورنسيوس الذي نريد ان ننبه الافكار اليه . ليست حياته الماضية سوى طريق او تمهيد لهذا العمل العظيم . وليس جهاده الماضي ليُذكر قرب اعماله النسكية . فبحق إذًا يليق ان نغبطه على انتصاره التام على ذاته . ليست البسالة في هرق الدماء ، ولا في خوض المعامع تحت نبال الاخطار ، وانما الشجاعة كل الشجاعة في التفوق على الاهواء الداخلية وكبح جماح الجسد المتمرد . يندفع انسان بداعي الهوس او المجد او الانتقام او ما شاكل لاختراق صفوف الاعداء او الفتك بهم . فان فاز نكلله باكاليل الغار ونحرق امامه بخور التهاني ونلقبه بطلاً ، وان قضى نستعظم عمله ونقول ذهب ضحية الوطن والواجب . اما اذا رأينا رجلاً يسهر الليالي الطوال ليذلل جسده ويستعبده ، ويهرب من المجد

الباطل كهربه من الافعى والثعبان ، لا يطلب سوى خدمة الله والقريب في زوايا النسيان ، فنقول عنه انه مسكين في عقله ، لا يرى أبعد من انفه . والحال اننا في خطأ مبين لان ذاك الذي نلقبه بطلًا في العالم لم يستغرق عمله العظيم سوى ساعة واحدة ، ولم يمت إلا مرة واحدة ، مع ان هذا الثاني قضى حياته كلها جهادًا وكفاحًا ، يموت لذاته الف مرة في النهار . فيه وحده اذًا يختص لقب البطل الحقيقي ، حسب قول ابن الوردي :

ليس من يقطع طرقاً بطلاً   انما من يتقِ الله البطل

دخل لورنسيوس المحبسة وودع العالم وداعاً جديدًا ، وداعاً كاملاً ، وانقطع لخدمة الله فقط . فلبس المسح واخذ يقمع جسده بالجلد والصوم ، جاعلًا فراشه « بلاساً » من الشعر ، ووسادته قطعة من خشب ، زاعماً انه لا يقدر ان يقاوم الشيطان إلا بعد ان يكون غلب ذاته غلبة تامة . واقتصر على اكلة واحدة ، كل اربع وعشرين ساعة ، كان في خلالها يجلد جسده مرتين بسوط من الجلد القاسي الى ان يسيل الدم منه . حتى ان الذي كان يعتني بتنظيف ثيابه كان ينظرها دائماً ملطخة بالدم . لم يقف عند هذا الحدّ من التقشف بل اراد ان يذلل نفسه ايضاً بالاشغال الشاقة ، فاتخذ له بستاناً غرس فيه اشجار العنب والتين ، وكان هو بذاته يحرثه ولفرط زهده لم يذق من ثماره ابدًا لزعمه ان الانتصار على شهوة الحلق هو اكبر دليل على نكران الذات . وعلى هذا النمط كان يقضي ايامه تارة بالصلاة الشفاهية ، وطورًا غائصاً بالتأملات العقلية ، وحيناً منعكفاً على الاعمال اليدوية ، وآخر على القراءة الروحية بنوع انه لم يدع دقيقة واحدة من حياته تمر من غير عمل تقوي .

فضائله

اني لاحار عن اي فضيلة من فضائله اتكلم خصوصاً . أعن وداعته ، ام عن طهارته ، ام عن فقره الروحي ام عن غيرته المتقدة لخلاص النفوس ، ام عن محبته لله ؟ . فانها كلها تتلألأ في آن واحد في محياه اللطيف .

هيئته الخارجية

كل من عرفه ناسكاً يخبر ، كما ان جسده الباقي بلا فساد يدل ، نه

كان ربع القامة ، ضخم الجسم ، اشقر اللون · شعر لحيته ناصع البياض يزيده مهابة وجمالًا على نور الايمان الذي يضيء به الله أوجه محبيه ·

طهارته

لم يهجر لورنسيوس العالم ولم يختبئ في زوايا معبده إلا حبًا بحفظ طهارته التي كان يلقبها عروسته المحبوبة ، ويتيّم بذكرها ويتمثلها تارة في صليب المخلص بمانقها الفادي بشوق عظيم ، وطورًا في شخص البتول الطاهرة فيذوب وجدًا بحبها · ولكي يحرص على هذه الوديعة الثمينة كان يرفض قطعياً ، في الدور الاول من استنساكه ، مقابلة النساء وجهاً لوجه ، حتى التكلم معهنّ محتجباً · ولكن لما نيف على الستين ، بدأ يكلمهنّ من وراء حجاب ؛ واخيرًا لما طعن في السن رضي بان يقابلهنّ بحضور الاخ رفيقه ليرشدهن في سبيل الخلاص ·

وداعته وتواضعه

قد عرفنا قبلًا ان التواضع حمله على ترك الرئاسة ، والتواضع ايضاً حببّ له الانزواء في كوخه الصغير بعيدًا عن مجد العالم · وها نحن نتأكد الآن ان الوداعة ، ثمرة ذاك التواضع ، قد جعلت هذا الشيخ العابس في وقت الصلاة ، تسيل نفسه لطفاً في احاديثه مع الكبار والصغار · اما انعطافه نحو الاولاد فكان فائقاً · كمعلمه الالهي كان يُسرّ بمحادثتهم وملاطفتهم ، لان نفسه كانت تشابه انفسهم بالبساطة الملائكية · ومما يروى عنه انه من عظم محبته لهم ، ولكي يحثهم خصوصاً على تعلّم قانون الايمان وباقي الافعال ، كان يُخبئ لهم قرب المذبح خرنوباً · وعندما كان احدهم يقول بعد الانجيل قانون الايمان ، كان يلتفت اليه ويناوله قرن الخرنوب ، بشرط ان لا يأكله في في الكنيسة · فبمثل هذه المعاملة اللطيفة وغيرها كان يكتسبهم اليه ، ويعودهم منذ الصغر في طريق الخلاص الامينة · اما عن تعلق الصغار به فحدّث ولا حرج ، فانهم كانوا يجدون في حنانه لذة اكثر منها في حنان امهاتهم ·

تقواه ومحبته لله

كانت ايامه كلها مملوءة من روح الصلاة · فكان يصلي دائمًا كما اوصى المسيح وكرّر رسول الامم بعده خوف ان يدخل بالتجربة · نعم انه ما كان

يقضي كل اوقاته في الصلاة ولكن كل اعماله كان يديرها روح التقوى . اما في صلواته الشفاهية وتأملاته العقلية فكان يجثو في اغلب الاحيان ويداه بشكل صليب ، وكان يذرف دموعاً مرة عندما يتأمل بآلام المسيح ، ولذا شحب وجهه ، وانطبع اثر البكاء في خديه كما يشهد من رآه . وكان يقضي مراراً ساعات طويلة بالتأمل امام القربان الاقدس حتى يخيل انه لا يشعر بوجوده . وكان يفرح عندما تداهمه اوجاع في جسده لانه كان يحتملها بصبر وشجاعة حباً بالله . فيردد « يجب ان نفرح بالامراض لاننا بذلك نصير اخوة حقيقيين ليسوع المتألم . »

غيرته

لو اصغى لورنسيوس لذوقه فقط ، لما كان اختار إلا العزلة الكاملة ، ليدرس وحده على مهل شريعة الله ؛ ولكن غيرته المتقدة لخلاص النفوس جعلته في آخر مدته يكرس قسماً كبيراً من اوقاته لارشاد القريب .

في شرقي المحبسة ، على مسافة ربع ساعة منها قرية صغيرة حديثة العهد ، تسمى « وادي شاهين » ، ملأت رؤوس اكامها اشجار الصنوبر الجميلة ، انساب الى جانبيها ساقيتان ترقرقت مياهها تحت ظل اشجار الدلب والحور الباسقة فجاءت آية في الجمال الطبيعي . لم يكن في البدء فيها كنيسة ، فكان اهلها يضطرون ان يذهبوا الى « عين الخروبة » ، القرية المجاورة لهم ، لسماع القداس ايام الآحاد . فلما صار الحبيس لورنسيوس يسمح للنساء ان يدخلن الى المحبسة ، اخذ اهل تلك القرية يتهافتون كبارهم وصغارهم لسماع ارشاداته وحضور الذبيحة عنده في كنيسته ، فكانوا يصادفون منه بشاشة الاب الصالح والراعي الساهر على خرافه بعين يقظى . ولعظم غيرته عليهم ، كان لا يسمح لاحد منهم مطلقاً ان يذهب الى غير كنيسة ؛ وقبل ابتداء القداس ، كان يلتفت عادة نحو الجمهور قائلاً ببساطته المألوفة : « لفيتوا او بعد ؟ » وعندما كان يلاحظ انه ينقص واحد حتى ولو كان ولداً ، كان يقول : « ننتظره بعد ونصلي المسبحة ريثما يأتي . » ولكي يحبب اليهم المجيء ، كان دائماً بعد انتهاء القداس يجلس معهم خارج الكنيسة ، ويحدثهم فرداً فرداً بعذوبة ملائكية عن اشغالهم

واحوالهم الخصوصية ، ويرشدهم كالاب الحكيم ، ومن ثم يوزع عليهم تيناً او زبيباً او لوزاً من ثمار بستانه ، وكان كل واحد ملتزماً بان يقبل حديثه .

لم تقف غيرته عند هذا الحد بل دفعته الى اكثر من ذلك - كان منذ دخل المحبسة لم يسمح لنفسه ان يخرج الى خارج مطلقاً ، حتى الى الدير . ولكن لما مرض احد ابناء رعيته في وادي شاهين ، وهو الشيخ اسطفان الجميل وكان عزيزاً لديه جداً ، أتى لكي يعرّفه ويزوّده الاسرار الالهية ، واتى ايضاً ثانية الى القرية المذكورة ليكهن راحلاً ثانياً الى الابدية .

ولا يزال اهل القرية الى يومنا هذا يلهجون بوادعته وطهارة سيرته ويتمنون ان يحصلوا على ذخيرة منه ، لانهم لا يرتابون ابداً في قداسته .

سألت مؤخراً احد ابناء رعيته من « وادي شاهين » ان يفيدني شيئاً عنه ، فقال : « ماذا اقول لك ؟ كان ملاكاً في منظره وبساطته السماوية . فقلت بماذا تتذكره خصوصاً قال بحديثه الحلو الطبيعي الذي كان احلى من العسل . واتذكره لاسيما وقت الصلاة حينما كان يجثو ويقرع صدره باكياً . فانه بهذا كان يحبب الى الجميع الاعمال التقوية . » هذه شهادة انسان فاضل بل هذه شهادة كل من عرفه . كان قديساً ، يقول الجميع ، كان وديعاً ظاهراً في كل اعماله وتصرفاته . فلو جمعنا كل هذه الاقوال ، والشهادات الحقيقية الصادرة كلها عن قلب والخلاص لصاغت هالة من نور حول قبر الحبيس لورنسيوس تنطق وتبرهن عمّا كان يحوي قلبه من الفضائل السنية .

انعام الله عليه بمعرفة شيء عن الموتى

فلا عجب اذاً ، اذا شرّفه الله بمعرفة اسراره الخفية كمثل مشاهدة الانفس بعد انفصالها عن اجسادها . لانه هو تعالى يقول في انجيله الطاهر : طوبى للنقية قلوبهم فانهم يعاينون الله . ولا تظن ايها القارئ الكريم انها ضرب من الخرافات ، كما ينعتها عصرنا الحاضر . ليس من الصعب على الله ان يُظهر مجده لاصفيائه . هذا من جهة ، ومن اخرى نقول ان الحبيس لورنسيوس لم يقصد بذلك الاتجار كما يتفلسف البعض ، ليستدر عليه الحسنات من المؤمنين ، بل كان يرفض قبول ادنى شيء حتى حسنة القداس . ولما كان يسأله احد عن

موته، كان يخبره بكل بساطة وصراحة بما يعرفه، وما ذلك إلا بعد ان يكون صام مدة يومين او ثلاثة.

ومما يروى عنه انه كان ليلة نائماً بعد انتصاف الليل. واذا به قد نهض بغتة، وايقظ الاخ طوبيا الذي كان عنده وقال له: «اذهب حالاً الى الدير واوقظ الرهبان وقل لهم ان الراهب... قد مات ونفسه تطلب الصلاة.» فاجابه الاخ مبغوتاً: «ماذا تقول يا ابتِ؟ ان الراهب... قد نام في هذا المساء لا يشكو من علة مطلقاً.» فكرر عليه ان: «قم وانطلق الى غرفته فتتأكد صدق قولي، لان نفسه مرّت عليّ بعد انفصالها من الجسد، وطلبت مني الصلاة.» فنهض الاخ، وسار الى الدير واخذ يقرع باب غرفة القس المذكور. فلم يجبه سوى الصدى. فاعلم الرئيس والرهبان بالخبر وأتوا مسرعين الى الغرفة، ودفعوا الباب عنوة فوجدوا القس ميتاً كما قال الحبيس. فمنذئذٍ مجدوا الله وجثوا كلهم يصلّون عن نفس الراحل مندهشين من هذه الاعجوبة.

استمرّ لورنسيوس الناسك يتقدم هكذا نحو الشيخوخة وعطر طهره وقداسته ينتشر في كل الجهات، فيأتيه الزائرون من كل حدب وصوب على اختلاف مذاهبهم، للتبرك منه ويسألونه الصلاة من اجلهم ليشفوا من امراضهم الروحية والجسدية. الى ان وصل خبر ما يقصّه عن الموتى الى سيادة المطران يوسف جعجع، رئيس اساقفة قبرس فاستغرب الامر كثيراً، واستعظمه، واراد، بادئ بدء، ان يوقف الناسك عن القداس، خوفاً مع ان يكون حصل له خلل في عقله، ولكنه عزم اخيراً ان يمتحنه بذاته. فارسل اليه مع شماسه يقول: «قدّم غداً الذبيحة الالهية عن نفس والدتي التي توفيت، وارغب اليك ايضاً ان تفيدني مع رسولي في اي محلّ هي، وهل يقتضي لنجاتها من المطهر قداسات وافرة ام لا؟» فاجاب الحبيس: سمعاً وطاعة. وفي صباح النهار المقبل قدّم الذبيحة المقدسة على نية سيادته. وفي الحال عرف ان التي يقدم عن نفسها الذبيحة لا تزال حية، وعلم ان سيادته قصد بذلك تجربته، لا غير. فعند نهاية الاسرار المقدسة، طلب الشماس المذكور الجواب من الحبيس، فقال له ببشاشة: «اخبر سيادته ان والدته لا تزال في قيد

الحياة ، وصحتها جيدة ايضاً .» فتعجب الشماس من كلامه لانه كان عالماً حقيقة الامر . فرجع وقصّ حقيقة الخبر على المطران الذي دُهش منه ومجّد الله . وتناقلت هذا الخبر جميع الالسن فما كان إلا كالاريج الطيب ، زاد الناس رغبة في زيارة المحبسة والحبيس .

عبادته للبتول الطاهرة

اتينا على اخر الترجمة ولم نقل شيئاً عن عبادته للبتول الطاهرة ، فانه كان مغرماً بمحبتها غراماً شديداً حتى انه اصبح كالطفل لا يمكنه ان يتفوَّه بحديث البتة قبل ان يلفظ اسم امه . وقد كان في اكثر ارشاداته يتكلم عنها مع ابنائه الروحيين ، ويحثهم على التمسك بعبادتها ولاسيا بصيام السبت ، زاعماً ان التعبد لها هو ميناء الخلاص الامين .

مرضه ووفاته

هكذا قضى الاب لورنسيوس الناسك حياته الطويلة في الصوم والتقشف والصلاة وقمع الذات والاشغال الشاقة ، الى ان سقط جسمه تحت عبء كل هذه الاعمال ، ولاسيا تحت يد الشيخوخة ، فجاءه المرض في اوائل شباط سنة ١٨٨٠ . فلما علمت القرى المجاورة بمرضه ، اخذوا يتوافدون لزيارته لطلب بركته ولكي يودّعوه الوداع الاخير ، لانهم تأكدوا موته . وكأنه هو شعر بساعته الاخيرة فاخذ يشكره تعالى ويبارك كل الحضور ، ويصلي لاجلهم حتى يجمعهم جميعاً في الاخدار السماوية . ولفظ نفسه الاخير ، بدون توجع ولا كدر فبكاه الجميع بكاء مرًا ، وكان ذلك في التاسع والعشرين من شهر شباط من السنة نفسها . وما ان بلغ نعيه القرى المجاورة حتى تقاطرت الجموع الى المحبسة لاخذ بركته فغصت تلك الناحية من كثرة الوفود . وكان كل من حضر لا يأوب إلا ومعه ذخيرة من ثيابه . ثم بعد الصلاة ، غيبوه عن الاعين في كنيسة المحبسة ، وجسده باقٍ للآن على حالته الطبيعية لم يمسه الفساد مطلقاً .

وبعد مضي خمس عشرة سنة على وفاته ، نقل جثمانه الطاهر من ضريحه الى محل آخر في الكنيسة حيث أعدّ له رمس ظاهر من الرخام ، فوجد جسده في الحالة المنوّه عنها قبلاً .

آخر الازياء الادبية في الغرب

الشرق وتخبط بعض الاجانب في فهمه

بقلم فؤاد افرام البستاني

للاداب ازياء كما للاثواب ، وللاقلام اوبئة كما للاجسام ، تتناوبها بين آونة واخرى فتحتلّ مواضيع الانشاء ، وتخيّم على عقليات بعض المؤلفين ، حتى لا تكاد ترى كاتباً الّا وفي اقواله تأثير هذا الوباء الجديد ، ولا كتاباً الّا وبين سطوره ميل نحو هذا الزيّ الحديث .

اما القرّاء — وهم كسائر الناس مسحورون بكل جديد غريب — فيتهافتون على هذه الكتب ، يتنازعون المواضيع الجديدة ، ويحشون ذاكراتهم بالاقوال الغريبة ، متفانين في التقاطها ، غُيُرًا على حفظها ، حتى يبرزوها في المجتمعات فيعرضوها بعجرها وبجرها ، متناظرين في اشياء كلما زادت جدّتها زاد جهلهم بها .

هذا ونحن لا نكاد نعرف اليوم زيًا ادبيًا اكثر انتشارًا في بعض الاوساط الغربية المؤثّرة في اوساطنا ، ولا وباء كتابيًا اعظم تأثيرًا في بعض مؤلّفي الغرب من ذوي الكتب الرائجة في بلادنا ، ولا سحرًا بالجديد الغريب اشدّ خطرًا عليهم وعلينا ، مما يسمّيه ادباء العصر «زيّ الشرق» ، و «وباء الشرق» ، و «سحر الشرق» !

الشرق !

موضوع كتب عديدة ونشرات متتابعة تغطي الرفوف الكثيرة في المكاتب ، بل هو فرع مستقلّ من آداب ادعياء الاستشراق من الغربيين في يومنا ، يبحث فيه كتّابهم عن «بلاد النور ، ومهبط الوحي ، ومهد الاديان .» وهم لا يتقيدون ،

في انحائهم ، بزمان ولا بمكان ، بل يشملون الشرق كله من ضفاف الغانج الى مصب النيل ؛ فيتكلمون عن عادات الشرقيين وعقلياتهم المختلفة ، واديانهم المتباينة ، وآدابهم المتفرقة ، وتجاراتهم العديدة ، وصناعاتهم الخاصة . ثم يدفع بهم الهوس الى المقابلة بين ماضي الشرق وحاضره ، وقياس المدنيات التي تقلبت عليه . ولا يسهو بالهم عن ارسال تلك النظرة الاخيرة ، والثمينة في زعمهم ، في « ماذا يكون مستقبل الشرق ؟ » مع ابداء النصائح الجمة التي « يجب على الغربي ان يتبعها ليفهم الشرق » . على ان اكثر مؤلفي هذه المجلدات ، ان لم نقل كلهم ، اهملوا ما ينصحون به ، فضلوا الطرق التي « يجب على الغربي ان يتبعها ليفهم الشرق » ؛ وكان أبينهم ضلالا اشدهم مجازفة باعطاء النصائح . فهم لا يفهمون من الشرق بعض ما تعرف انت من الغرب ، وقد تعلمت في المدرسة تاريخه ، وجغرافيته ، وعادات اهله ، السنين الطوال ، فهل ترى من نفسك جرأة على الكتابة في ماضيه وحاضره ومستقبله ؟

نحن لا ننكر ما للمستشرقين الحقيقيين من فضل في اخراج تاريخنا وآدابنا من زوايا النسيان ومطاوي الاهمال الى محيط النور والمعرفة ، بل نحن اول من يثني على جهودهم القيمة ، ويقر بفضلهم الجزيل . الّا اننا لا نرضى بان تضيع تلك الجهود اذ تعرض على مستوى واحد مع آثار الاستشراق المزعوم ، ولا نرضى بان يغمط هذا الفضل اذ يجعل اربابه في محيط واحد مع جمهرة مدعي هذا الاستشراق . فاذا قرظنا فاننا نقرظ اولئك العلماء الكرام ، واذا لمنا فاننا نلوم هؤلاء الادعياء الجهال ، وعليهم يدور كلامنا :

يزور الكاتب منهم الشرق الاقصى فيقيم الشهر ، او بعض الشهر ، في احد ثغور الهند ؛ ويطالع ، بلغته الغربية طبعاً ، ما يقع تحت يده من ترجمات اقوال المتصوفين واحاديث « الفقراء » ، فيرى فيها من الدعوة الى التجرد والتزهد ، والحث على التقشف والتضحية ، ما يظهر جديداً بالنسبة الى عقليته المادية ، فينادي بالاكتشاف ، ويدعو بملء صوته الى السير على سبل الشرق القويمة ، واذا به يسود الصفحات العديدة في المقابلة بين الشرق « الروحاني » والغرب المادي ، واذا بالمطابع تخرج الكتب « النفيسة » في تحليل عقلية

الشرق ، وتفهم طبائع الشرقيين...

ويأتي الآخر بلادنا – وهي ايضاً شرق ولا تميز بينها وبين الهند والصين مثلاً – فيقيم اسبوعاً في احد فنادق بيروت ، ثم يسافر الى دمشق بقطار الليل فيقضي فيها عدة ايام ؛ ثم يعود ، وهو لا يعرف عن بلادنا اكثر ما يعرفه تاجرنا عن بلاد السنغال ، بعد ان يقيم فيها شهراً . ومع ذلك فلا يتراجع امام وضع رواية « شرقية » تصوّر عادات الشرقيين على اختلاف العقائد والنزعات ، وتعرض بعض امثلة الشرقيين . فنطالع تلك الرواية ، واذا بعاداتنا تتحصر بكل ما يندى له جبين الأدب ، واذا بامثالنا تظهر غريبة بتلك الترجمة المضحكة . وليست العبرة في وضع تلك الرواية العجيبة ؛ بل في ان صاحبها يصبح ، في عرف نفسه وبعض قرائه ، من كبار المستشرقين . ويزيد اعتقاده رسوخاً طلبات اصحاب المطابع والمكاتب للكتب الشرقية اجابة لرغبة قرائهم المصابين بوباء الاستشراق ، فيروح الكاتب يحبر المقالات الكثيرة ، ويسوّد صفحات المجلات المعتبرة في الكلام عن الشرق ، وعقليته ، وانتقاد سياسات حكامه .

ويمتدّ وباء الاستشراق من الكاتب الى مقلديه ممن لم يعرفوا الشرق الا بواسطة ادلة كوك وبديكر ، فيأخذون بالتأليف ، ويخبطون ما تشاء لهم عقليتهم التي لن تفهم الشرق ما دامت تنظر اليه بنظارات الغرب .

ويزهو عصر الاستشراق فتربح شركات السفر ارباحاً طائلة ، وتشحن الى بلادنا خلقاً كثيراً من رجال ونساء ، وكتّاب وسيّاح ، وصحفيين وضبّاط ، يختلفون نظراً واسلوباً ، ولكن يتفق اكثرهم عقليةً وجهلاً بامور الشرق .

...

ولعلّ اعظم مدرجة خطأ هؤلاء القوم ، بعد ادعائهم غير المحدود ، استناد النساء منهم الى شعورهنّ الحسّاس دون الاعتماد على العقل ، وميل جميعهم الى الاجمال ، واستعمالهم في كل الاحوال القياس الاستقرائي الناقص .

يدخل الغربي منهم احد المطاعم فيطلب قنينة وسكي مثلاً . فيتم له

صاحب المطعم ، ويجتهد كي يفهمه ، مع الاسف ، ان الصدفة حكمت بخلو محلـه من الوسكي ، او ان مطعمه ليس بحانة فتبيح له الحكومة بيـع المسكرات . فيتمرمر الضيف ، ويقلب شفتيه مشفقاً هازئـاً ، ويكتب في مفكرته : « في الشرق لا يعرفون الوسكي ! مسكينة هـذه البلاد ، كم هي بعيدة عن المدنية ! »

يسمع الغربي ، في بـلاده ، بخرائب تدمر ، وآثار بعلبك ، وحفريات بيبلوس ، فيدفعـه وباء الاستشراق الى الابحار وجهة بيروت ، وهو يتصور رؤية كل هذا على المرفأ ، حتى اذا لم يشاهد شيئاً من ذلك يئس من « سراب الشرق » ، وربما حذف من الوجود تدمر ، وبعلبك ، وبيبلوس .

يأتي الصحافي ليراسل احدى الجرائد الغربية عن الشرق ودوله ، فيتصل ببعض القينـات الراقصات ، فتريه ما تشاء عن بلاد الشرق ، وتخبره بما يجول في مخيلتها من سيطرتها على بعض رجال الحكومة البـارزين ، ومن مقدرتها على خرق القوانين . فيؤخذ الصحافي بكل هذا ويكتب ان حكومة البلد الفلاني بيد الراقصات يدرنها كيف شئن . ويكون البلاء شراً مما تقدم اذا كان ذلك الصحافي امرأة ، فتضيف الى مـا سمعته توسيعات وتعليقات يحوكها شعورهـا النسائي الجذاب . . .

ومن هذا النوع امور كثيرة يضيق المقام عن سردها ، وما كنا لنتعرض لها ، لو لم نقرأها في الكتب ، فبرهنت عن قصر في النظر ، وسذاجـة في عقلية تميل دائماً الى الاحكام المطلقة العامة ، دون تمييز ولا استثناء . . وانا لا نزال نذكر بحثاً عن ارز لبنان شائقـا عنوانه ، فقرأناه في رحلة احد السياح « الى الشرق » ، واذا فيه ، بعد ديباجة طويلة في عقلية الشرقيين ومخيلتهم القوية :

« وللبنانيين ولع خاص بذكر الارز واحترام التقاليد المتعلقة بـه ، فهم يقولون ان سليمان الحكيم بنى الهيكل من خشبه ، ويرددون ذلك متعزين به عن انقراض الارز من بلادهم . وأني لاستغرب كل هذه الضجة حول الارز ! وما عسى ان يكون حكم من لا يعرفون لبنان ، اذا قلت لهم ، انا الذي زرت هذه الارض ، ان ليس في لبنان ارزة واحدة ! وان الارزة الوحيدة التي

يمكننا رؤيتها هي في حديقة النبات في باريس!»

فما رأي القارئ الكريم في هذا الحكم الصادر عن رجل رحل الى الشرق قصد درسه وفحصه! وما قوله اذا عرف ان لهذا الكتاب طبعات تقرأ بامعان حتى في لبنان، فيعجب المتفرنجون بما فيها من الدرس العميق! وقد يكذبون انفسهم عما يرون في بلادهم كي يتشبثوا باحكام الغربيين... ويقف غيرهم على هذا الامر فيشفقون عليهم، وعلى الكاتب، باسمين...

وما قولكم في كاتبة غربية تهبط الشرق لمحة من الزمن، فتتنقل في مدنه الكبيرة، ثم ترجع عادةً نفسها من كبار علماء المشرقيات، فتكتب وتكتب ولا تملّ، عن الشرق، وامراء الشرق، وتاريخ الشرق ايضاً، فتجد مستندات قيّمة لم يعرفها احد من المؤرخين، وترى في شاعر الفرس سعدي ضحية للصليبيين يمنعونه ارتياد مكتبة طرابلس الضخمة! ويحكمون عليه السنين الطوال بالاشغال الشاقة في بناء قلعتهم!!!

. . .

وقس على ذلك اكثر ما كتبه ويكتبه زائرو الشرق حتى اصبحنا نقف موقف الريبة والشك ازاء كل كتاب جديد عن بلادنا. اللهمّ عدا ما يكتبه المستشرقون الحقيقيون، ومن قضوا الشطر الاوفر من حياتهم العلمية ما بيننا، فعرفوا ما نعرف، وزادوا عليه تجرّدهم، فحكموا بما لا نقدر عليه. فاكبرنا اختبارهم واعتبرنا احكامهم، وسخروا معنا من مدعي المعرفة بالشرق.

مجلة المجلات

بين المعرّي والخيام – الادب وخلوده – المدنية والتجارة المصرية

بين المعري والخيام

نشرنا سابقاً في المشرق (٢٦ [١٩٢٨] ٤٤١–٤٥٠) مقابلة بين المعرّي والخيام قارناً فيها بين آراء الشاعرين في فكرة الموت وما وراءه من مصير الارواح ومآل الاجسام. ثم أننا، في الصيف الماضي، بلقاء احد كبار الخيّاميين في الشرق، الاديب العراقي المعروف، الاستاذ احمد حامد الصرّاف، فاكبرنا جهوده المتواصلة في درس الخيّام، واطلاعه الواسع على آثاره، وتنقيبه عمّا ثبت له من الرباعيات وما اضيف اليه، واخذه في الابحاث بناحية من المقابلة والموازنة تكلّل الدروس الادبية الحقة. وقد اطلعنا له مؤخراً، في مجلة المجمع العلمي العربي (الجزء ٩ من السنة ١٩٣٠) على «مقارنة بين المعرّي والخيّام» قابل فيها بين اخلاق الشاعرين، ومحيطيهما، ومعتقداتهما المختلفة، فاتت بعض اقسامها خير تتمة لدرسنا السابق، اذ حصرنا كلامنا عن فكرة الموت وما بعده عند الشاعرين المذكورين، وها انا نورد ما قاله الاستاذ في اتفاق اخلاق مفكرينا ومحيطيهما:

ان من غريب الاتفاق ان يكون الحكيمان متماثلين في الاخلاق فكلاهما كان منقبض النفس ضيق الصدر منزوياً عن الناس زاهداً فيما بايديهم ماقتاً لهم مستهزئاً بهم مستخفاً بعقائدهم ومبادئهم وكلاهما مبغض للدنيا متطال لامور غامضة أجل شأناً واعظم قدراً من حطامها وكلاهما متطلع تائق الى اسرار الحياة معنى بها، وكلاهما ابي النفس صادق القول مطلق الرأي جري على البوح بمذهبه، الا فترات كانا كلاهما يراعي فيها خواطر الناس خشية الاذى والضرر. وكلاهما فقير لم يملك شيئاً من حطام الدنيا، ولو ارادا لنالا وفراً وذهباً وفضة، وكلاهما عاش عزباً لم يتزوج وكلاهما نشأ في عصر حافل بالعلوم والمعارف فائض

بالآراء الفلسفية ، اذ في عصرهما ظهر مذهب الاسماعيلية والباطنية وفي عصرهما اجتمع اخوان الصفا خفيــة وابرزوا رسائلهم الشهيرة . واقوال الفيلسوفين على تقارب في العلوم والمعارف . اما تآليفهما فقليلة ايضاً وأما السياسة في زمانهما أفتشابهة فقد كانت نار الفتنة مشتعلة في سورية في عصر المعري . وامــا فارس فقد كانت رحى الحرب فيها دائرة كل المدة التي عاش فيها الخيام فانــه نشأ في اكناف الدولة السلجوقية التركية التي قامت مقام الدولة الغزنوية ولم تقم تلك الدولة الا بالسيف وكان الخيام يشهد ذلك وقد اتسع سلطان هذه الحكومـة في ايام ملكشاه (٤٦٥–٤٨٥) الذي كان يجل عمر الخيام اجلالاً عظيماً حتى عهد اليه بناء الرصد وترتيب الزيج . وفي عهده اسس زميله وشريكه في الدرس «حسن الصباح» مذهب الباطنية وفي ايامه ارتكب الباطنية المنكرات والموبقات وفيها غتيل زميله وشريكه الآخر «نظام الملك» بطعنة باطني.

ثم يشير الكاتب الى ان كلاً من الشاعرين «اتهم بضعف الايمان ، والمروق من الشريعة ، ووُسم بالتعبير الذي كان شائعاً في ذلك العصر وهو «الزندقة» ، ذلك الجرم الذي ما ألصق باحد الا كان جزاؤه الموت . » وهـذه التهمة نتيجة لازمة لمشابهة الشيخين في افكارهما الشكوكية الحائمة حول الايمان بالبعث وانكاره . ويرى الاستاذ «ان كلا الحكيمين كان منكراً للبعث غير معتقد بحشر الاجسام وخلود الارواح ، واما الابيات التي نظمها الشيخان في اثبات البعث فقد نظماها تقيةً وخوفاً من الناس وسخط الجمهور عليهما.» قلنا : ولعل تلك الحـالة النفسية التي كانت تدفع الشيخين الى نظم الابيات في الايمان والتي نسبها الاستاذ الى التقيّة ومداراة الجمهور ، قـد تكون نتيجة الشكّ المتحكم في شخصية الحكيمين ، ولا يخفى ان الشك ليس بالحالة الدافعة الى الاطمئنان ، بل هو لا يزال يدفع صاحبه من تردّد الى تردّد ، ويتخطى به من حيرة الى حيرة ، ويحوك حوله من كثافات ظلام التشاؤم – وهي حالة الشيخين كما بيّنه الاستاذ – حتى يفضي به الى قلق مؤلم يحمله على الشكّ في ايمان معاصريه شكّاً فمآلاً لا يلبث ان ينقله ، اذا ما تأثر بعوامل جديدة ، الى شكّ جديد في شكّه ذاك ، فيرجع الى ايمانه السابق او الى ما جاوره ، فيسكن هنيهة يعود بعدها الى نقطته الاولى . . . وهكذا دواليك . . . ولعل ما نراه من مظاهر الايمان في ابيات الشيخين وليد هذه اللمحات السريعة من نور الاعتقاد في ظلام الشك.

هذا وبعـد ان يتكلم الاستاذ عن تأثير التشاؤم في آراء الشيخين يستنتج «ان كلا الحكيمين اتفقا على ان الحياة خطب وبلاء ، فقـد اتحدا واتفقا على تشخيص الداء الآ انهما اختلفا في الدواء . فبينا كان الخيام يرى دواءه الوحيد في الخمرة ، كان المعرّي يلتمسه في الموت :

كان عمر الخيام يرى ان الوسيلة الوحيدة الى النجاة من آلام الحياة السلافة. وكان المعري يرى ان المنية هي الوسيلة الى ذلك . وقد وصف الخيام الخمر بما وصف به ابو العلاء الموت. وفي طاقتنا ان ندعي ان نفس المعاني التي ذكرها المعري في الموت جعلها الخيام في الخمر. فقد ذهب في المغالاة بمدحها ، والاسراف في حبها ، والولوع بها ، وحث الناس على شربها ، ما جعل بعض الباحثين ان يُسيئوا به الظنون ويعتبروا اقواله ضرباً من الجنون ونزعة من السفه. وقد ذهب الخيام في الخمرة مذهب اكثر الشعراء والحكماء الذين كانوا يرون ان فيها راحة للنفوس وتسكيناً للاوجاع وتخفيفاً للآلام والاكدار.

وتدل رباعياته على انه لم يشرب لمجرد اللهو والعبث . وانما اتخذها دواء كما يتخذ المريض الدواء لمرضه. وانه كان يرى ان السلافة هي الوسيلة الوحيدة الى تبديد الهموم وتفريج الكروب عن الصدر فمن ذلك قوله ما معناه :

«ليس شرب الخمرة من اجل الطرب والفساد وترك الدين والأدب. انما أريد ان انفس الصعداء وانا ذاهل عن نفسي فشربي الخمرة وسكري لهذا السبب.»

«بين مجيء الربيع وذهابه تطوى اوراق وجودنا . اشرب الخمرة ولا تتألم فقد قال الحكيم ان آلام الحياة سم ودرياقها الخمر.»

وقد ظن بعض الباحثين ان السلافة التي يتغنى بها الخيام في رباعياته هي «سلافة الحب» او «خمرة الحقيقة» او «السكر المقدس» وهي الخمرة الخيالية التي ينشدها شعراء الصوفية في قصائدهم مثل ابن الفارض وجلال الدين الرومي وغيرهم ، وفي الحقيقة ان هذا الظن باطل غير صحيح ؛ فان عمر الخيام لم يتغزل بخمرة وهمية وانما تغزل بالمشعشعة الحمراء بنت الكروم لابادة الالم الرابض في صدره والرباعيتان اللتان تقدم ذكرهما كافيتان في دحض هذا الزعم.

اما شيخ المعرة فقد خالف صاحبه في هذا المعنى واكثر من ذم الخمرة وقبحها وندد بشاربيها وزعم انها سالبة العقول هاتكة الوقار مفرقة الاحباب ، وقد اجهز على السلافة في لزومياته فمن ذلك قوله :

وحاذر من الصهباء ، فهي عدوّة من الصب مشت في مفاصلك السكر

. . .

البابلية باب كل بلية ، فتوقينّ هجوم ذاك الباب

جرَّت ملاحاة الصديق وهجره ، وأذى النديم ، وفرقة الاحباب ،
ام الحباب ، وان أميت لحيبها بمزاجها ، وافت كأم حباب ،
هتكت حجاب المحصنات ، وجشمت مهن العبيد تغشم الارباب ؛
وتوهم الشيب المدالف انهم لبسوا ، على كبر ، برود شباب ؛
واذا تأملت الحوادث ألفيت صهب الدنان اعادي الالباب .

. . .

قلنا غير مرة ان الخيام والمعري كانا يريان الحياة خطباً وشراً يجب التخلص منها اما الخيام فقد رأى ان احسن وسيلة تنجيه منها هي «الخمرة» واما المعري فقد ذمها وكان يرى ان الموت هو الدواء الشافي ، وكان يتطلب الفرج على يد المنية وقد تمناها في كثير من شعره فمن قوله :

اما حياتي فالي عندها فرج فليت شعري عن موتي اذا قدما !
صحبت عيشاً أعانيه وينلبني مثل الوليد يقود المصعب السدما
وقد مللت زماناً شره لحب اذا دنا لحبو ، عاد فاحتدما ،
من باعني بحياتي ميتة سرحا بايعته ؛ واعان الله من ندما !

. . .

رب ، متى ارحل عن هذه الـ دنيا ، فاني قد اطلت المقام ،
لم ادر ما نجمي ، ولكنه في النحس مذ كان جرى واستنام
فلا صديقي يترجى يدي ولا عدوي يتخشى انتقام ،
والعيش سقم للفتى منصب ، والموت يأتي بشفاء السقام .
والترب مثواي ومثواهم وما رأينا احداً منه قام .

- ثم يختم بمقابلة في مصير الاجسام بعد الموت على نحو ما ذكرناه في مقالنا السابق .

الادب وخلوده

قابل احد كتاب الانكليز شاعر الهند الأشهر ، رابندرنات طاغور ، فحادثه عن «الادب والحياة» حديثاً نقله الكاتب الى مجلة «المقتطف» وفيه آراء في خلود الادب وبعض عوامل الشهرة الادبية لا تخلو من فائدة ، منها قوله (جزء تشرين الثاني ، ص ٣٧٧) :

قال : كيف نستطيع ان نحكم على بيان عصرنا لمعرفة الآثار التي تنعم بنعمة الخلود ؟ ان بيان كل عصر هو نتيجة عوامل واحوال مهدت له السبيل في عصور سابقة ، وهو بدوره يمهد السبيل لبيان جديد في عصر تالٍ . فلا بد لنا من موضع للنظر المشارف لنستطيع الحكم على الانسان وأسلوبه في الافصاح عن نفسيته . والمسافة في الزمان والمكان لا مندوحة عنها لهذا الحكم لان

القرب يحير البصر لكثرة ما نراه من الدقائق فيمتنع علينا النظر الشامل وتتعذر رؤية الكل كلًا لا اجزاء من كلّ .

سألني كثيرون عن احب الشعراء اليّ واي رجل اعظم الرجال في نظري . اننا لا نستطيع ان نحصر التفوّق في شخص واحد لكثرة المتفوّقين . تلقيت علومي في العصر الفيكتوري فانا اجيد لغته وافهم ادبه ولكنني لا استطيع ان افهم تعبيرات الادباء المحدثين . قد تكون هذه التعبيرات غاية في الابداع وقد تنطوي على صفات تضمن لها الخلود كالصفات التي تمتاز بها اشعار شلي وكيتس[1] ولكنني لا افهمها.

ان لغة كل امة كالامة ذاتها. فاما ان تتقدم واما ان تموت. انها لا تستطيع ان تجمد في مكانها . فالانكليز لا يتكلمون بلغة تشوسر[2] الآن . ولو اتيح لتشوسر ان يطلع على اسلوب الكتابة في العصر الاليصاباتي — عصر شكسبير وفرنسيس باكون — لحسبه رطانة محدثة. هكذا ينظر ادباء العصر الفكتوري الى اساليب الادب الحديثة .

وفي لغة كل شعب تتردد اصداء الزمان ! لقد انقضى عهد التجوال الشعري في الريف والطمأنينة في البعد عن المدن . ونحن الآن في غمار عهد لطنين السندان واصطخاب الآلات اعظم شأن . فالنغمات المتسقة الغنائية التي كنا ننشدها في امسنا الغابر قد انقضى عهدها وحلّت محلها العبارات المقتضبة والشعر المطلق في يومنا هذا القلق المضطرب. وليس هذا بالامر الذي يؤسف له . فكل فترة يزكو فيها الانتاج العقلي والفني تعقبها فترة راحة تخلد فيها النفس الى السكينة تستجمع قواها فاذا بدأت فترة الانتاج التالية اتصلت اساليبها بالعنف وبالرجوع الى السذاجة مسترحية دوافع البشر الاولية في الخلق والابداع.

. . .

كلما تقدمنا في السن قويت بصيرتنا الروحية فنستطيع ان ننظر الى الاشياء نظرًا مشارفاً فنفهم عللها . فيحملنا ذلك على تفضيل ايام حداثتنا الزاهية على

١) شلي وكيتس شاعران انكليزيان من اكبر شعراء القرن التاسع عشر

٢) شاعر انكليزي من القرن الرابع عشر

ايام كهولتنا او شيخوختنا التي نعاني اعباءها فنشير الى ايام الشباب متحسرين : كان زمن الشباب كذا وكذا . والواقع ان الحال لم تتغير. والايام الماضية لا تفضل الايام الحاضرة حكمة وسعادة وانما بعدنا عنها يمكننا رؤية اثرها رؤية مجملة شاملة . وهذا ما لا نستطيع ان نفعله في ايامنا هذه لاننا ما زلنا فيها . ان رسم الحائك لايرى الا متى تمت حياكة الثوب.

ويغلب ان تكون الشهرة نتيجة الفرصة السانحة وكثيراً ما تشبهها في مداها ! ف . ا . ب.

المدينة والتجارة المصرية

اهدت الينا مصلحة التجارة والصناعة «صحيفتها» وهي عبارة عن نشرة شهرية ضخمة، قطعها كبير، وعدد صفحاتها ١٢٠ . دخلت في سنتها السادسة، وفيها المواضيع الواسعة الشاملة التجارة والصناعة والاقتصاد مع تقارير قنصليات المملكة المصرية وغير ذلك من الفوائد والروائع . واليك نبذة من مقال على التجارة المصرية في المدينة (يوليه ١٩٣٠، وجه ٦٧) والمقال مقتطف من تقرير قنصل مصر في جدة بعد زيارته المدينة يرمي فيه صاحبه الى دعوة مواطنيه الى انشاء معرض مصري في الحجاز لنشر المصنوعات التجارية فيها، ولترغيب الحجاج بالتعريج على مصر في عودتهم . ولست الفكرة بعيدة التحقيق لان البلاد المتنائية تقاربت بوسائل النقل العصرية:

بينا ان المدينة المنورة تعتمد في تجارتها ووارداتها على ما يأتي اليها من الخارج كما بينا ان ليس بها صناعات مطلقاً وأن ما بها من الزراعة لا يكفي الا للاستهلاك المحلي ولا يمكن للمدينة الاعتماد على محصول زراعة القمح ولذا تراها في حاجة دائمة الى القمح لاستهلاكه وتصديره الى نجد . كما ان العدس والشعير المصري يمكن ان يروجا كثيراً في المدينة لو خفضت أسعارهما في مبدأ الامر والبطاطس يعتبر مأكول الطبقة الراقية ولكن أثمانه مرتفعة جداً اذ تباع الاقة باكثر من ستة قروش صاغ مصرية ولا يوجد في اغلب الاحيان الا عند بعض التجار فلو ان التجار المصريين عنوا بتوريد البطاطس باثمان معقولة لامكن كسب السوق وتوزيع كميات كبيرة من هذا المحصول لانه من المحقق أنه اذا رخصت الاسعار أقبل الاهلون على شرائه لما فيه من المادة المغذية.

الصابون — يكثر استعماله في المدينة خصوصاً في زمن الصيف وهو شائع بين جميع الطبقات والصابون المصري نافق السوق ولقد سمعت من الكثير الثناء

عليه وبخاصة المصنوع منه في فاوريقة احد الوطنيين بالاسكندرية . ويسرني ان اعلن ان الصابون المصري امكنه في المدينة بفضل اتقان صنع الفاوريقة المشار اليها ان يزاحم انواع الصابون الاجنبي.

السجاير المصرية — تروج في المدينة كثيرًا ويقبل الاهالي على شراء الرخيص منها ومن المحقق كسب السوق للسجاير المصرية لان السكان يدخن اغلبهم ويستهلك مقدارًا عظيماً منه اما التنباك فعليه إقبال كبير.

الغاز والبنزين — مقطوعيتهما كبيرة في المدينة وهي التي تقوم بتوريدهما الى داخل نجد وفي بعض الاحيان يندر البنزين في المدينة الى حد انه تطلب الصفيحة منه باي ثمن وقد رأيتها تباع بـ ٨٠ قرشاً مصرياً على ان يكون المشتري معروفاً وموصى عليه عند التاجر وهذا يرجع الى ندوة المعروض.

وفي ميسور المصريين ان يجعلوا المدينة مركزًا لتوزيع البنزين خصوصاً في زمن الحج فوجود مستودع للبنزين فيها وتحديد اثمان معتدلة له يجعل الاقبال عليه شديداً ويزيد في مقطوعيته.

الروائح العطرية — للروائح العطرية اهمية كبيرة في المدينة ولاسيا في زمن الحج فالتطيب من السنن ولكن اغلبها يأتي من الخارج ويفضل التجار المصنوع منها بمصر.

المنسوجات القطنية والصوفية والكتانية والحريرية — لا غنى للأهالي عنها ومعظمها يأتي من سورية ومن الثابت أن مصر تستطيع المزاحمة في هذا الميدان على شرط ان يكون الثمن معتدلًا الى حد يحبب الى المستهلك الشراء - ومقطوعية المنسوجات بانواعها كبيرة جداً اذا اعتبرنا ان المدينة هي سوق نجد في اغلب الاحيان ومعظم العربان يلبسون البفتة السمراء ونساؤهم يلبسن الجلابيب السوداء والملاءات السوداء والزرقاء القاتمة.

الحلويات — لها مقطوعية كبيرة بالمدينة وهي تأتي من مصر . وجملة القول ان في استطاعة التاجر والصانع المصريين ان يكسبا سوق المدينة واسواق الحجاز الاخرى اكثر من غيرهما . والتاجر يستطيع ان يرسل بضاعته من ينبع الى المدينة على السيارت في ٦ ساعات.

ف. ت.

شذرات

عادات الاردنيين في الامراض

كتب مراسل البشير من شرقي الاردن (١٥ تشرين الثاني ١٩٣٠):

العادات السائدة هنا في الامراض ان يمدّ فراش المريض في زاوية من زوايا البيت، الذي لا منافذ له، ولا اثر فيه للمقتضيات الصحية، فيجتمع حوله من الاقارب والاصدقاء والزائرين حشد غفير يسهّلون له الشفاء وراحة الضمير والتذكارات الحسنة، او يرشدونه الى ملاقاة ربه، ان كان قد قارب الدنف. ومتى اشتد مرضه، يحدّثونه عن شقاء زوجته واولاده بعد موته، وعما يحصل من الخصومة بسبب ميراثه بين اقاربه. ثم يصطفون حلقة حول فراشه يدخنون التبغ، فتضيق انفاسه، ويشتدّ مرضه، ولا يجد له فرجاً الّا اذا حضر الخوري او الطبيب، ويرى اذ ذاك ان لا خلاص له، فيخلد الى السكون العميق، فيضيّقون الحلقة عليه، ويأخذون بالصراخ والصياح والبكاء والعويل وهو ينظر بعينيه ولا يتمكن من التكلم، فيقرّبون بذلك احتضاره، ان كان بعيداً؛ واذا اطال النزاع، يولولون ويصرخون الى ان يصرعوه. ومتى ضجروا من انتظار حتفه، «يقيمون المخدة» من تحت راسه حتى تسقط رقبته فيفارق الحياة. ورفع المخدة مجرَّب، كلهم يعرفونه. ويزعمون انهم يريحون به المنازع من العناء بتقريب موته:

وبعد ان يموت المنازع، يخرجونه الى باحة البيت لكي تبرد عضلاته عاجلاً ثم يجري دفنه بسرعة. واكثرهم يدفنون موتاهم بعد وفاتهم بثلاث ساعات، وغيرهم بساعتين. وقبل ان يبرد الجسم يكون صاحبه مدفوناً في القبر.

وقد وجد في المقابر بعض جثث دلّ ظاهرها على انها دُفنت في حالة الاغماء، كأن يُرى الجسم مقلوباً من وضعه المعروف، مما افاد انتباه المدفون بعد دفنه. ولعمري ليس من امر افظع من دفن المرء وهو في حال الغيبوبة،

حتى اذا انتبه في القبر ، مات ميتة لم يسمع باهول منها . فعسى ان تنتبه الحكومة الى هذا الامر ، وتضع قانوناً بان لا يدفن الميت الا بعد مرور اربع وعشرين ساعة على وفاته. ونطلب من ابناء هذه البلاد ان لا يفعلوا عند عيادة المريض ما يقرب اليه حتفه ، والسلام.

التذكار المئوي لظهور الايقونة العجائبية

احتفل حضرة الآباء اللعازريين في ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ الفائت بحفلات دينية باهرة بنسبة مرور مائة سنة على ظهور السيدة العذراء بشكل الايقونة العجائبية للمكرمة كاترين لابوره (Labouré) ، راهبة المحبة . وقد جرى هذ الحادث العجيب في باريس ، يوم السبت الواقع في ٢٧ تشرين الثاني سنة ١٨٣٠، الساعة الخامسة والنصف مساء . فبينما كانت الراهبة المذكورة في الكنيسة تقوم بفرض تأملها ، شعرت بظهور السيدة العذراء بثوب ناصع البياض ، وقد بسطت يديها فامتدتا باشعة النور الساطع الى الكرة الواقفة عليها . وقد احاط بها اطار من النور على شكل اهليلجي مكتوبة عليه هذه الكلمات باحرف ذهبية: «يا مريم البريئة من الخطيئة الاصلية ، صلي لاجلنا ، نحن الملتجئين اليك .» ثم انقلبت الصورة فظهر عليها حرف M ، وفوقه صليب ، وتحته قلبا يسوع ومريم . فكان ذلك مثالاً للايقونة التي امر بضربها السيد دي كيلان (de Quélen) رئيس اساقفة باريس ، حسب اشارة الاخت لابوره المعبرة عن امر البتول مريم . وقد كثرت العجائب بفضل هذه الايقونة حتى اشتهرت في جميع انحاء الارض ، وعرفت «بالايقونة العجائبية.»

حياة محمد في السينما وآي القرآن في الفونغراف

طالما رغبت بعض الشركات السينمائية من اوربية واميركية ان تخص نبي الاسلام باحد الافلام فتمثل حياته ومآتيه ، فكانت تصادف الاعراض والاشمئزاز في الاوساط الاسلامية والمقاومة من ائمة المسلمين ، مما كان يثني عزمها . وقد اطلعنا مؤخراً على خبر روته احدى الجرائد الاسبوعية الاسلامية في مصر

بكل تحفظ ومفاده ان جمعية الشبان المسلمين عزمت على اخراج فلم بحياة النبي محمد وتاريخه ، وان الامير عمر طوسون يؤيد الفكرة ويساعدها ماديًا . ثم تخوفت الجريدة من ان اخراج هذا الفلم يشجع الشركات الاجنبية على اقتداء بجمعية الشبان فتخرج افلامًا في الموضوع نفسه قد لا توافق مشيئة المسلمين في اظهار نبيهم .

وقد نقلت جريدة «الصاعقة» المصرية هذا الخبر ، وعلقت عليه بما يلي ، مشيرة ايضًا الى مسألة انشاد آي القرآن بالفنوغراف قالت (عدد ١٩ تشرين الاول ١٩٣٠) :

«وفي انتظار ما تقوله جمعية الشبان المسلمين في هذا الموضوع الخطير ، نقول ان الشكوى من شركة الافلام الاميركية أو غيرها من الشركات لتصديها لتصوير الحوادث الاسلامية واخصها « البعثة المحمدية » راجعة الى ان هذه الشركات لا تؤمن على التصوير والتمثيل ولا تؤمن على افراغ الحوادث بشكل يصونها ويبعدها عن جهل الجاهلين . وعبث العابثين ممن لا يعرفون قليلا او كثيرًا من اسرار الدين الحنيف .

« فاذا تولت العمل جمعية الشبان المسلمين او غيرها من الجماعات الاسلامية فانها تسير مهتدية برأي اهل العلم وائمة الدين . ولا عيب عليها ولا حرج اذا هي استعانت بفريق من الفنيين الاجانب وعلماء التاريخ منهم الذين قد يعرفون من شؤون تاريخنا المدني والسياسي ما لا نعرفه .

. . .

«وقد تحركت في الايام الاخيرة مسألة ترتيل الفونوغراف لآيات القرآن وهل يجوز إدارة هذه الآلات في كل مكان أو لا يجوز .

«والمسألتان بت فيها منذ زمن بعيد . ومن اراد المزيد فليراجع ما كتبه العلامة الشيخ محمد بخيت في إباحة تدوين آي الذكر الحكيم على أقراص الفنوغراف .

«وأما ترتيل القرآن بالفنوغراف في الشوارع وغيرها من أماكن نجسة فحكمه

حكم منع القراء عن التلاوة في هذه الاماكن.

«وكل ما نرجوه ان توضع قواعد صريحة في هذا الموضوع ، فنسجل الآيات الكريمة على صفحات الاقراص وننشرها فى العالم الاسلامي على أهون سبيل.»

شهادة غير مجروحة

قابل موفد جريدة «الكوريو كاتالان» التي تصدر في برشلونة ، من اعمال اسبانية ، الكاتب الانكليزي المدقق شسترتون ، وسأله رأيه في موقف الكثلكة في الوقت الحاضر بانكلترة . فاجاب الكاتب :

« لم يسبق للكثلكة في انكلترة ان وصلت الى مثل الازدهار الذي وصلت اليه في الوقت الحاضر.

«لما كنت حدثاً ، كان الكاثوليك قليلي العدد جداً في انكلترة . واذكر ان القرية التي انا منها لم يكن لهم فيها كنيسة ، ولا في القرى المجاورة لها ، القائمة منها على مسافة ٤٠ او ٥٠ كيلومتراً . اما الآن فقد اصبح لهم كنائس جميلة في جميع هذه القرى. ورجال الكنيسة الكاثوليكية في انكلترة يقتدون في عملهم الرسولي ، بلاعبي الشطرنج ؛ فانهم يهاجمون النقاط المركزية ، ولا ينفكون عن محاصرتها من كل جانب ، والتشديد عليها جهد طاقتهم ، الى ان يفتحوها ، وتطلق يدهم فيها للاعمال الخيرية وخدمة النفوس.»

نقص معدل المهاجرة

يُستدلّ من معلومات مفوّضية المرفأ الخاصة أن عدد المهاجرين الى البلاد الاميركية ، هذا العام ، من ابناء البلاد المشمولة بالانتداب ، عن طريق مرفأ بيروت ، بلغ ٣,١٢٥ شخصاً ؛ بينهم زهاء الثلث من الارمن المتجنسين بجنسية هذه البلاد ؛ مقابل ٥,٩٩٠ في المدة نفسها من العام الماضي.

مطبوعات شرقية جديدة

H. Massé : L'Islam. [*Collect. Armand Colin* n° 126] 221 *pp.* 1930. *Prix* : 10 f 50, *Paris, A. Colin.*

الإسلام

يسرّنا ان نرحّب بهذا الكتاب وننصح بمطالعته . فان المؤلف متضلع من موضوعه يبحث فيه بحث العادل المنصف مترفعاً عن النقد المتطرّف والمدح المتزلف. وهو ، بعد ان يشرح منشأ الاسلام ويبسط عقائده وشرائعه ، يتطرق الى اتساعه التاريخي فيدرس العصور العربية ، والمغولية ، والفارسية ، والتركية . اما بحثه في الاسلام المعاصر فضئيل ، وكذلك نأخذ عليه جعله المسافة بين مكة والمدينة يومين فقط (ص ٨) وهي اربعة ايام على الاقل ، وقوله عن نصارى الحبش انهم نساطرة (ص ٢٢) وهم يعاقبة ؛ وقد سها باله عن ان السلطان صلاح الدين كردي لا تركي كما قال (ص ١٩٠). على انها هنات صغيرة تُصلح في طبعة جديدة قريبة ان شاء الله. هذا وان مظهر الكتاب الطبعي في غاية الاتقان.

ه . ل .

Nathaniel Schmidt : Ibn Khaldun, historian, sociologist and philosopher, *in*-8°, 1930, *Prix* : 2 dollars *New York, Columbia University Press.*

ابن خلدون المؤرخ والعمراني والفيلسوف

هو درس وافر خصّه المؤلف بابن خلدون من الوجهات الثلاث التي ذكرها في عنوانه. ومعلوم ان ابن خلدون بدأ في مقدّمته ما ندعوه اليوم بفلسفة التاريخ سائرًا على طريقة قويّة لم يتبعه عليها احد من مؤرخي العرب بعده. اما اخلاقه فلم تكن تضاهي آثاره قيمةً وجودة ، وهو لم يتراجع امام التذلل لتيمورلنك حارق دمشق. ويختم المؤلف كتابه بلمحة على طبعات المقدّمة المختلفة ، فيتأسف بحقّ على ان القائم بالطبعة البيروتية لم يُشر الى النسخ التي استند اليها . هذا

وقـد ذكر في الصفحة ٧ المستشرق الفرنسوي هوار فسمّاه كلود والصواب كليمان . هـ . ل .

Dr Rudolf Tschudi : Von alten osmanischen Reich. [*Philosophie u. Geschichte* Nº 25]. 28 *pp. in-8º. M.* 1,80. 1930. *J. C. B. Mohr (Paul Siebeck) Tübingen.*

المملكة العثمانية القديمة

لقد لخّص مؤلف هذه المحاضرة ، وهو استاذ في جامعة بال (سويسرة) ، بطريقة عجيبة اسباب رقي الامبراطورية العثمانية وانحطاطها . فبدا تلخيصه كصورة أُخذت من طيّارة ، كما يُقال اليوم . والمحاضر يُلقي اثناء سيره السريع ، بعض الآراء والملاحظات الطريفة القيّمة ، منها ما يشرح به انخذال محمد الفاتح ، امام تشبّث الائمة الفقهاء ، وانصرافه ، على الرغم منه ، عن الاضطلاع بالمدنية الاوربية . هـ . ل .

Mrs R. L. Devonshire : Eighty Mosques and other islamic monuments in Cairo. *English edition revised and enlarged. Prix :* 12 *fs. Paris, Maisonneuve frères,* 1930.

الجوامع وسائر الآثار الاسلامية في مصر

دليل صغير يفيد المسافر المسرع فيدلّه على اشهر الجوامع في القاهرة ويفيده عنها بعض معلومات مرتبة حسب تاريخ انشائها ، مع صور غاية في الاتقان .

هـ . ل .

Islamica, *vol. IV, fasc.* 3 (1930). *Leipzig. Verlag von der Asia Major.*

الجزء الثالث من مجلة «اسلاميكا» لسنة ١٩٣٠

نشير ، في هذا الجزء ، الى تتمة التقرير عن الدروس العربية في روسية . وفيه يعجب المطالع بالجهود العلمية التي يبذلها الاستاذ كراتشقوفسكي ، فيأسف لان كثيرًا من هذه الآثار النفيسة تظهر في لغة قليلة الانتشار بين العلماء كاللغة الروسية . هـ . ل .

Mgr Tissier, *évêque de Châlons :* **Les puissances morales et surnaturelles des femmes.** *in*-12, 208 *pp: Prix:* 9/ᶠ. *Paris, P. Téqui.*

مواهب النساء الاخلاقية والفائقة الطبيعية

لقد كتب المطران تيسيه عن المرأة ومن اجلها عدة مؤلفات تلقّنها الشعب الفرنسوي بكل ارتياح . وهذا آخرها يتوسع فيه الكاتب بالقوى العديدة الكامنة في «الجنس اللطيف».

وان القوى الحقيقية في العالم المسيحي ليست الطبيعية ؛ وليست القوى العقلية اشهرها في محيط الاخلاق والفضائل ، ولا القوى الارادية المحضة . بل هناك قوى القلب الوضيعة الكامنة ، ومرجعها الى الفضيلة عامّة (وهو موضوع المحاضرة الثانية من الكتاب) وخاصّة الايمان (المحاضرة الثالثة) ، والاخلاص (المحاضرة الاولى) ، واللطف (المحاضرة الخامسة) ، والمحبة . (المحاضرة السادسة) . وان هذه القوى تنتصر حتى وسط الآلام (المحاضرة الرابعة) ، والتضحية (المحاضرة الثامنة) . اما محيط تطبيقها الاوفق فهو تربية الاولاد (المحاضرة السابعة) . فننصح لنساء هذه البلاد ، ولنساء فرنسة ، اذا اردنَ الحصول على هذه القوى المهنّة والطموح الى استعمالها ، ان يلجأن الى كتاب المطران تيسيه فيجدن فيه الدليل العارف والرفيق اللطيف. ف . س.

René Tresse : L'irrigation dans la Ghouta de Damas. [*Extrait de la Revue des Etudes islamiques,* 1929] *Paris, Librairie Paul Geuthner.*

الريّ في غوطة دمشق

هذا مثال لما يصدر من نوعه من الابحاث التي نودّها كثيرة متنوّعة المواضيع ، وهي افضل طريقة لتعريف حالة البلاد اذ يتخذ فيها المؤلف نقطة خاصة فيدرسها وفي درسه لها يشرح طائفة من النقاط الجغرافية والتاريخية والاجتماعية : هذا ولا يخفى ان نهر بردى ، الذي لا يصبّ في بحر ، هو السبب الجوهري في وجود دمشق وازدهار غوطتها ؛ ولهذا نرى مياهه قد قُسمت في كل عصر على طريقة تضمن مصالح جميع المشتركين في الانتفاع منها ، وهي وسيلتهم الوحيدة

في محاربة عوامل الجفاف والجدب. وان هذه الطريقة في تقسيم المياه هي موضوع المؤلف الذي يدرس تنظيم الري وما يتعلق به من ترتيب الاقنية ، وكمية المياه الموزعة وكيفية قياسها ، وتنظيم الجمعيات او المؤسسات للمحافظة على الاقنية واصلاحها ؛ ثم يبحث في حالة الاملاك الاميرية ، واملاك الافراد ، والحقوق التقليدية والمكتوبة ، والعادات ، وتوزيع المياه في المدينة ، واستعمالها ، ومستقبل هذا التنظيم. ويختم كتابه بسلسلة الوثائق التي استند اليها. ج. ل.

Paul Baurain : Alep, autrefois, aujourd'hui ; *accompagné d'un plan touristique de la ville, illustrations hors texte. in-12,* 368 *pp. Prix : sur papier ordinaire :* 20*f*s ; *sur papier glacé :* 40*f*s. *Alep, Librairie Castoun,* 1930.

حلب بالامس واليوم

اقام المؤلف مدة في حلب ، فشغف بها ، فاراد ان يشغف بها غيره من الاجانب ، فكتب هذا الكتاب ذاكرًا فيه كل ما يحبب المدينة وسكانها ، قاسماً ابحاثه الى اقسام الاول تاريخي يتتبع فيه مصير المدينة في خلال العصور. والثاني يختص بسكان المدينة وادبانهم . والثالث بالمدينة نفسها . وفيه الشروح عن مواردها ، والحياة الاجتماعية فيها ، والحياة العملية. وفي الكتاب ٢٠ صورة مطبوعة على حدة . فنتمنى له الرواج ، كما نتمنى ان نرى مثله لاشهر مدن سورية ولبنان. ج. ل.

Annuario della Reale Accademia d'Italia. I. 1929 - VII. *in-8°,* 404 *pp. Roma,* 1930. *Prix : L.* 25.

تقويم الاكادمية الملكية الايطالية

علم قراؤنا ان الاكادمية الملكية الايطالية حديثة النشأة (٢٨ تشرين الاول ١٩٢٩) وهـذا التقويم هو اول منشوراتها من نوعه . وهو يحتوي على دستورها ، وسائر المعلومات المفيدة عنها كاسماء اعضائها وبعض التراجم ، وكثير من الصور لمختلف ردهات قصر فارنيزينا (*Farnesina*) الذي اصبح مركز الاكادمية المذكورة . كل ذلك في مظهر طبعي شائق.

Dr Aug. Vallet : Guérisons de Lourdes en 1927-28-29. *in-12,* 320 *pp. Prix* : 10*f*. *Paris, Librairie Téqui.*

أشفية لورد في السنوات ١٩٢٧ و ١٩٢٨ و ١٩٢٩

مؤلف الكتاب رئيس مكتب التحقيقات الطبية في لورد ، وهو يدرس في مؤلفه الجديد اشهر الاشفية العجائبية التي حدثت في السنوات الثلاث الاخيرة ، وعددها ٢٢ . وقد قدّم على ذلك مقدّمة مهمّة في فصلين : ذكر في الاول منها الحركة الدينية في لورد واتساعها وازدياد مظاهر التقوى فيها ، وفي الثاني صفات الشفاء العجائبي في لورد ومنها : خلوّ الواسطة او العلاج ، والحالية ، والغاء طور النقاهة ، واختلاف الطرق الشفائية ، واعادة الوظيفة الحيوية دون الجهاز .

ج . ل .

L. Bordes : Œuvres Choisies des grands artistes. Le XIXe siècle. *in-8° illustré. Paris, De Gigord.*

منتخبات من آثار كبار الفنانين : القرن التاسع عشر

يختص هذا الجزء بالقرن التاسع عشر ، وهو مكتوب لطلّاب الصف الاول من التعليم الثنوي . وقد سار فيه صاحبه على طريقته في الجزئين السابقين : فأورد ترجمة مختصرة جامعة لكل مؤلف ، ثم ذكر منتخبات من افضل اقواله وادلّها على شخصيته ، مع شرح بعضها والتعليق عليها . فاتى عمله مفيدًا ليس فقط للطلّاب والاساتذة ، بل لجميع المتأدّبين .

ج . ل .

Bréviaire médical à l'usage des missionnaires et des coloniaux, *publié par un groupe de professeurs de la Faculté libre de Médecine de Lille. in-8° de 751 pp., 260 figures et 4 planches hors texte en couleurs. Prix* : 80*fs* 1930. *Paris, Vigot Frères.*

مختصر طبي لخدمة المرسلين والمقيمين بالمستعمرات

نشأت فكرة هذا التأليف في المعرض الطبي الفاتيكاني المقام سنة ١٩٢٥ ، وقد اخذت جامعة ليل الكاثوليكية على نفسها ان تقوم بإعداده فجمعت فيه ما التته في تعليمها الطبي للمرسلين ومساعديهم ، واخرجت دليلًا مفيدًا يؤلفه

اختصاصيون بموادّه لخدمة غير الاطباء ، خدمة عمليَّة في الوقاية والمعالجة . وقد قُسم الى تسعة اجزاء بُحث فيها في التشريح ، والتضميد ، والتشخيص الجراحي ، وبعض العمليات الجراحية البسيطة ، ومعلومات عامة في الطب ، وفي الامراض الخاصّة بالمستعمرات ، وطرق علاجها ، ومبادئ عملية في الصحة ، وفي امراض العيون.

ج . ل .

Le Diwân de ʿOrwa ben el-Ward, *traduit et annoté par* René Basset. [*Publications de la Faculté des Lettres d'Alger.*] *Paris. P. Geuthner*, 1928 — *in-8° de 75 pp.*

ترجمة فرنسوية لديوان عروة بن الورد

هو من آخر آثار المستشرق الفرنسوي المعروف المرحوم رينه باسه ، عرض فيه لعروة بن الورد فأشار اولًا الى طبعات ديوانه ومآخذ اخباره ، ثم اورد ترجمة حياته مترجمةً عن كتاب الاغاني ، ثم نشر ترجمة فرنسوية لثلاث وثلاثين قطعة من شعر ذاك البطل الجاهلي ، مستندًا فيها الى طبعات نولدكه ، وشيخو ، وخمسة دواوين العرب ، ملحقاً بها بعض الشروح والملاحظات . وقد اضاف اليها عشرين قطعة اخرى بعضها لا يتجاوز البيت الواحد ، ولم ترد في الديوان ، بل وقف عليها في المعاجم وكتب المحاضرات وغيرها من الآثار الادبية ، فنشرها بنصّها العربي مشيرًا الى المصادر ، وبترجمتها . وان من هذه القطع ما هو ركيك مضطرب لا تصحّ نسبته الى العصر الجاهلي ، فضلًا عن ان يُنسب الى عروة ، كالقطعة العاشرة (ص ٦٤) التي اخذها المؤلف عن مجاني الادب (الجزء ٤ : ١٨٩) ، ومصدرها الاصلي انما هو « سيرة عنتر » ، وهي الى نظّام عصر الانحطاط اقرب منها الى عروة . اما الترجمة فهي صحيحة جميلة بالاجمال الّا في مواقع قليلة يُسيء فيها المترجم قراءة النصّ فيفسد عليه المعنى ، كما نرى في الصفحة ٧٢ حيث عرض للبيت :

لو كانت الريح حقاً تحمل الخبرا حمّلتُ ريح الصبا « انفاسَها » سحرا

فخال « الانفاس » جمع نَفْس ، وهي جمع نَفَس بالتحريك ، كما لا يخفى ، فترجم :

«Si réellement le vent portait des messages, je chargerais la brise de *nous porter* au point du jour »

وكان حقُّه ان يقول: « *de porter nos soupirs* ». على ان هذه الشوائب الطفيفة لا تكاد تُذكر بجنب ما للمؤلف من فضل في البحث والتنقيب والنشر في سبيل الآداب العربية. ف. ا. ب.

Das Kitâb ʿagâʾib al-akâlim des Suhrab. *Herausgegeben nach dem handschriftlichen Unikum des Britischen Museums in London*. 1930. *R. M.* 28. [*Bibliothek arabischer Historiker u. Geographen fünfter Band.*] *von Hans* **v. Mzik**. *Arabischer Text. Leipzig, Otto Harrassowitz.*

كتاب عجائب الاقاليم لسهراب

هو المجلد الخامس من «مجموعة مؤرّخي العرب وجغرافييهم». وقد طبع النص حسب المخطوطة الوحيدة الموجودة في المتحف البريطاني بلوندرة. اما سهراب فلا نعرف عنهُ شيئاً، واما عنوان الكتاب «عجائب الاقاليم» الذي قد يضلّ المطالع فهو العنوان المذكور في المخطوطة، ولهذا احتفظ به حضرة الناشر. والكتاب رسالة في خطوط الطول والعرض الخاصة بمختلف المواقع الجغرافية في العالم. وهو الموضوع نفسه الذي كان قد خاض فيه الخوارزمي في مؤلّفه «صورة الارض»، وقد استفاد منه سهراب فوائد عديدة، ويلزم اصلاح بعض الارقام التي نقلها بتسرّع نساخ المخطوطة. كما انه يجب ان نقرأ في الصفحة ١١٦ (سطر ١٠) «شراة» بدل سراة. هذا وان طابع الكتاب يستحق كل الثناء لما قاساه من الجهود في فهم هذه المخطوطة العويصة الخط المحتوية في اكثرها على ارقام واسماء اعلام تخلو غالباً من الاعجام الضروري. ه. ل.

كتاب خطط الشام: الجزء السادس

تأليف محمد كرد علي

مطبعة المفيد بدمشق ١٣٤٧، ١٩٢٧

هو الجزء الاخير من المؤلف الذي كتب عليه المشرق سابقاً (٢٣ [١٩٢٥]

٥٥٦، ٥٦١، ٧٩٦، ٨٧٤ و ٢٤، [١٩٢٦] ٨٧٦) فيه التاريخ المدني، وفصوله: البيع والكنائس والديرة، المساجد والجوامع، المدارس، الخوانق والربط والزوايا، المستشفيات والبيمارستانات، دور الآثار، دور الكتب، الاديان والمذاهب، الاخلاق والعادات، واخيراً فصل في الاستدراكات والتصويبات، وفصل في حياة المؤلف وترجمته بنفسه.

ان مواد الكتاب بعضها مدوّن بقلم مَن عهد اليهم بها صاحب الخطط وادمج مقالهم في كتابه وذكر اسماءهم: من امثال الكتبة واضعي تاريخ الاديان وغيرهم؛ وبعضها مأخوذ عن الكتب المطبوعة، كالفصل في الاديرة القديمة، فيجده القارئ في مسالك الابصار وممالك الامصار للعمري، الا بعض التغييرات؛ وغيرها مما هو قريب المتناول في الكتب الموضوعة دليلًا للمسافرين في الشرق. اما المنسوب الى قلم المؤلف وابتكاره فهو اسلوب بنيانه ونظراته الشخصية في تعليل الحوادث. سار بالقارئ من معهد الى معهد، ومن مدرسة الى مدرسة، فمن الكنائس الى الاديرة الى دور القرآن والحديث، فالمدارس الشافعية والحنفية والمالكية ... والمستشفيات والمكاتب. فذكر اسماءها ونوّه بمن لهم الفضل عليها؛ وقلما وقف ليمتع النظر بها، او ليسأل على طول حياتها وكيف نشأت وعاشت وماتت، وما كان تأثيرها في الزمان والمكان. نعم ان تلك الوقفة لتطول جدًا بالقارئ، ولكن الامر المهم ليس ذكر لائحة الاسماء دون اهمال اسم منها، وهذا من المحال؛ ولكن تنبيه الفكر الى العلل. ومن ذكر ولم يعلّل كان جامعاً لا مؤرّخاً. على ان السيد كرد علي تخطّى الى تعليل كثرة المعاهد الصغيرة، وهو التنافس بين الناس وايثار المصالح الشخصية والخير الجزئي على المصالح العمرانية والخير العام. وصدق في تعليل اسباب هدم الكنائس، وهي وقوع الازمة السياسية بين الشرق والغرب، الداعي الى التضييق على المسيحيين في الشرق اثارًا بما يلحق المسلمين من الحيف بمعاداة الغرب.

ان الفصل المختص بالموارنة زائد، لانهم فئة من الكثلكة ومن ذكر الكل وفّى الجزء حقه. قال المؤلف ان الآباء اليسوعيين فتحوا مدارس ابتدائية في الجبل من بعد الحرب، والصواب انهم فتحوها سنوات عديدة قبلها. وقال

ترعسوس ، والصواب شرعسوس (او شارع سوس)

وقال اجمالاً ان كل قرية في الجبل فيها كنيسة او كنائس . وعاد ضارباً لائحة اسماء القرى التي فيها كنائس وهذه اللائحة قلما يعنى بها مؤلف التاريخ العام . وصوّر العادات والاخلاق في لبنان تصويرًا يوهم بان الجبل دون بلاد دمشق وحلب رقياً وعمراناً ، والحقيقة خلاف مقاله . ونظرات المؤلف كثيرًا ما تصدر عن راي شخصي يحتاج الى الاسهاب في التعليل لاقناع القراء ، ولعله اضطر الى الايجاز في عرضها ، وقد يكون معذورًا في ايجازه لضيق المقام واحتشاد المواد . والمادة على وفرتها لا تتناول ذكر الاشخاص الا قليلاً ، مع ان اخلاق الاشخاص هي التي تساعد على احياء الحوادث على مسرح التاريخ . على ان وجوه النقض لا تحول النظر عن الوجهة الجليلة التي ازدان بها الكتاب وهي عنوان الاجتهاد وحب البلاد والهمة على العمل . فنشكر لرئيس المجمع العلمي العربي هديته ونتمنى له سنوات عديدة ، وهو متمتع بالصحة ، فيخدم الادب العربي ويتحفنا بمعجم الخطط عن قريب ان شاء الله . ف . ت .

تقويم البشير لسنة ١٩٣١

تأليف الاب لويس معلوف اليسوعي

المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، — ٢٤٣ صفحة متوسطة مع بعض الرسوم

هي السنة الثالثة والخمسون لهذا التقويم المفيد ، وهو كلما تقدم سنة زاد تحسناً واتقاناً ، فبدا في مظهره الحالي في اكمل حلة وصلت اليها التقاويم العربية في عصرنا بل هو يزيد عدة افادات وابحاث على كثير من التقاويم الاجنبية ، فضلاً عن موافقته لحاجات جميع ارباب المصالح في بلادنا ، اذ يرون فيه كل ما يتوقون الى معرفته من المعلومات السياسية ، والادارية ، والتاريخية ، والجغرافية ، والاقتصادية ، والتجارية ، والزراعية ، بما يلحقها من طرق المواصلات ، وساعاتها . ومما يستحق الذكر في تقويم هذه السنة نشر الدساتير للبلاد المشمولة بالانتداب ، وبعض المعلومات عن الحياة الاقتصادية في تلك البلاد في سنتي ١٩٢٨ و١٩٢٩ ، وبعض المعلومات عن اهم الآثار في بلادنا مع تصويرها تصويرًا غاية في الدقة والجمال .

اعتراف تولستوي وفلسفته

بقلم الارشمندريت انطونيوس بشير

عني بنشره وتصحيحه الشيخ يوسف توما البستاني . مطبعة العرب ، ١٩٣٠

ما قولك ايها القارئ برجل « يسمسر » للسم . فينادي باعلى صوته ويغني باطرب نغماته بصفات ذلك السم الزعاف ومفاعله القتالة ، ويقول اخيرًا اني اعرضه لا بكونه سمًا ، ولكن بكونه مصبوبًا بقالب شهي جميل . وانما هذه هي قصة المعرب مع تولستوي الكافر ، على انه وعدنا بالترياق. وقال انه سيأتي القراء بكتاب « ديانة تولستوي وانجيل تولستوى » ... وهل يرجى منها شفاء لداء الكفر . وشتان بين هذا الكتاب وكتاب حياة المسيح لبابيني الذي عربه الارشمندريت ذاتــه واهدى الينا جزءه الاول ، ونحن نتوقع صدور جزئه الثاني لنقرّظه . ف . ت .

لاجل الاتحاد

بقلم الاب الياس اندراوس البولسي

مطبعة القديس بولس في حريصا ، ١٩٣٠ - ٢٨٥ صفحة صغيرة

هو مجموع المحاضرات النفيسة الشهيرة ، التي القاها حضرة المؤلف الفاضل في اوائل العام الجاري ، وبيّن بها سهولة الاتحاد وضرورته ، تحت طاعة الحبر الروماني ، بين طائفتي الروم الخاضعتين لكرسيّ انطاكيــة ، الكاثوليكي والارثوذكسيّ . وقد ذيّلها بملحق فند فيه الاعتراضات . ولا غلوّ في القول انّ الكلّ جاء جامعًا بين سداد الرأي ، والصراحة الكاثوليكية الوضّاحة ، وادب المناظرة .

وانا نلفت الانظار خصوصًا الى ما ورد في الملحق المذكور (ص ٢٢٥-٢٤١) عن الاشتراك في القدسيات وعصمة البابا . فثمّة دليل ساطع ، وان عمليًا ضمنيًا ، على صحّة قول الكاتب الفاضل (ص ٢٣٩) في المعتقد الكاثوليكي : « ان كثيرين ينكرونه او يحتجّون عليه لانهم لا يُدركون معناه وفحواه . »

ش . ا .

محاضرة في تاريخ الروم الكاثوليك في مصر

للخوري قسطنطين الباشا الراهب المخلصي

مطبعة القديس بولس – حريصا – ١٩٣٠

في ٢٧ شباط الماضي القى حضرة الاب قسطنطين الباشا ناشر الكتب التاريخية الخاصة بالطائفة الملكية الكريمة هذه المحاضرة في النادي الكاثوليكي في القاهرة ، ونشرها في المسرة ثم طبعها على حدة واهدى الينا نسختها وهي مقطعة تقاطيع منمرة تسهيلًا لمراجعتها . قصر المحاضر الكلام على تاريخ الطائفة في القرن الثامن عشر . فاظهر انه منذ القرن الثالث عشر كان لطائفة الروم جالية في مصر : بعضهم من بقايا الملكيين الاقدمين ، وبعضهم اتوا حديثاً من فلسطين وسورية ، وبعضهم من القسطنطينية وبلاد اليونان والاناضول . واللغة الغالبة بينهم العربية . ومكان اقامتهم ، في مصر العتيقة ، الا تجارهم فكانوا يسكنون بولاق وهم فيها على اتصال بدمياط بطريق النيل .

حدث اهتداء فئة من الروم الى الكثلكة واثارة الاضطهاد عليهم . ونال الاضطهاد طائفة مصر وكاد يقضي عليها لولا تفاني الرهبان المخلصين في خدمتها وغيرهم من الكهنة الافاضل المهاجرين من سورية الى مصر . حتى صفا لهم الجو فعمّروا الكنائس . ودخلت حياتهم الطائفية في طور جديد لما اعلن الكرسي الرسولي (١٣ تموز ١٧٧٢) واجب خضوع الروم الكاثوليك القاطنين ضمن حدود البطريركيتين الاسكندرية والاورشليمية للبطريرك الانطاكي الكاثوليكي ، فوحّد كلمتهم وقوّاهم . وبارك الله ابناء الطائفة في مصر فتوفقوا في اشغالهم وشادوا الكنائس والاناطش واجروا الوقفيات عليها . ولنشرة حضرة الاب قسطنطين ملحق فيه وثائق التركية ومن جملتها رسالة الاب فرماج اليسوعي في امر سماع قداس المراطقة . وان رومة في ذلك العهد لم تكن قد بتت حكمها في الامر ، اما الآن فلا بد من تحذير الكاثوليك من سماع القداس في الكنائس الغير الكاثوليكية ، وان تكن رتبته تقام في طقسهم . ف . ت .

المختارات

للاب روفائيل نخله اليسوعي

الجزء الاول ، المطبعة الكاثوليكية ١٩٣٠

هو كتاب تاريخ وادب وقراءة لتلامذة الصفوف العليا ولعامة الادباء اختار واضعه اجمل ما رآه عند بعض المعاصرين من شعر ونثر في مواضيع شرقية وطنية ، ونشره مزيّناً بصور ثلاثين كاتباً او شاعراً مع مختصر تراجمهم ، وشكّله ببعض الحركات المساعدة على اتقاء اللحن في القراءة . لا شك ان الاساتذة سيقبلون على الكتاب ويضعونه بين ايدي تلامذتهم فيقطفون اثاره الشهية ، وهو في حجم لطيف يسهّل الحمل في السفر والتصفح في ساعات الفراغ.

ف . ت .

الدهور

مجلة انتقادية في العلم والفلسفة والادب ، لصاحبها ومحرّرها ابرهيم حدّاد

مطبعة الوفاء ، بيروت ، ١٢٨ صفحة متوسطة

هو العدد الاول من مجلة شهرية صدرت في تشرين الاول الفائت مصدّرة بشعار مأخوذ من قول ديكارت «*Cogito, ergo sum*» ومعرّب بالقول « انا اشعر فاذًا انا موجود» ، وتعريبه يخالف التعريب المشهور القائل: «انا افكر» بدل «انا اشعر» ، وهو امر لا طائل تحته لان التفكير والشعور لا يتباينان في هذا الحكم لديكارت . والمجلة كما ظهرت بعددها الاول جديرة بالاهتمام ، لاسيّما في مقالاتها العلمية ، واننا نشير ، بهذه المناسبة ، الى ان فيها في الصفحات (٤٩—٦٣) لائحة بتعريب اسماء الاصول الاولى للاحياء. قد تخالف في بعض افرادها المعروف المتداول عند علمائنا . اما مقالاتها الادبية فقد وددنا لو كان بعضها بمستوى ابحاثها العلمية . وعلى كل فاننا نتمنى للمجلة الجديدة ان تظل على مستواها الحاضر بل ان تتجاوزه صعودًا ، كما اننا نرجو لها رواجاً تستحقه.

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ تشرين الاول — ١٥ تشرين الثاني

لبنان

اجتمع المجلس النيابي في ٢١ الفائت لتجديد الرئاسة وامانة السر ، فجدّد الرئاسة للشيخ محمد الجسر ، وانتخب نائباً له يوسف بك الزين (نائب الجنوب) ، وانتخب لامانة السر الدكتور مسعود يونس (نائب الشمال) وهنري بك فرعون (نائب بيروت).

انتهت الدورة الثانية (١٧ تشرين الاول) من امتحانات البكالوريا اللبنانية لسنة ١٩٢٩ — ١٩٣٠ فكان الفائزون في القسم الاول ٧ على ٢٦ وفي القسم الثاني ١ على ٢ .

انتهت امتحانات المكتب الطبي الافرنسي للدورة الثانية فنال شهادة الدكتورية في الطب اثنان ، وفي طب الاسنان ٣ ، ونال الشهادة الرسمية في فن التوليد آنستان وسيدة.

وكذلك انتهت امتحانات مكتب الحقوق الافرنسي فنال شهادة المأذونية ٣٥ من بلاد الشرق المختلفة.

صدر مرسوم بان يُعدّ قصر بيت الدين وتوابعه قصراً تاريخياً وينشأ فيه متحف يحوي الآثار المتفرقة اللبنانية ونماذج الازياء منذ اول عهد الامراء المعنيين حتى آخر عهد المتصرفين.

بعد نزاع طويل حول مصب الزيوت المتدفقة من آبار الموصل وبغداد وكركوك أيكون في حيفا ام في طرابلس ، اتفق اصحاب الاسهم على قسمة المشروع شطرين : الشطر الاول يخص الراسماليين الانكليز وينتهي في حيفا ، والشطر الثاني يخص الراسماليين الفرنسيين والاميركيين وغيرهم وينتهي في طرابلس .

وقد تلقت الحكومة اللبنانية ، بواسطة المفوضية العليا ، من ممثلي الشطر

الثاني نص الاتفاقية القاضية بمد الانابيب في اراضيها الى ٧٠ سنة ، لقاء بعض المنافع . وقد اجتمع مجلس الوزراء للبحث فيها ، وستطرح قريباً على مجلس النواب ؛ ويقال ان الاعمال ستبدأ في مطلع الربيع اي بعد ثلاثة اشهر.

فلسطين

ظهر الكتاب الابيض عن المسألة الفلسطينية ، وهو مبني في اكثره على تقرير السير جون هوب سيمسون ، واهم ما جاء فيه ان الحكومة البريطانية ستقوم باداء واجبها الاول في ادارة فلسطين ، وتتذرع الى ذلك بامور اجدرها بالذكر اعتزامها ان توجد مجلساً تشريعياً يتألف من المندوب السامي و٢٢ عضواً منهم ١٠ موظفون ، و١٢ يختارون بانتخابات على درجتين ، واهتمامه بالشؤون الاقتصادية والتوفيق بين مطاليب العرب والصهيونيين مع ميلها الى تحديد الهجرة . فلم يرض الكتاب احداً من الفريقين لان الصهيونيين قاموا يحتجون على ما تضمن من ذكر تحديد الهجرة . وقام العرب يحتجون ايضاً ، ولا يزال الفريقان في احتجاجاتهما التي توالت من جهة العرب خصوصاً بمناسبة تذكار وعد بلفور ، مما يدل ان الحالة بعيدة عن الطمأنينة النهائية.

مصر

نشر في ٢٢ تشرين الاول الدستور المصري الجديد معدلاً بمساعي اسماعيل صدقي باشا رئيس الوزارة الحالي . واهم تجديداته : ١ً تأليف مجلس الشيوخ من ١٠٠ عضو منهم ٦٠ يعينهم الملك . ٢ً تأليف مجلس النواب من ١٥٠ عضواً كلهم منتخبون . ٣ً وضع الانتخاب على درجتين . ٤ً جعل الفصل في صحة نيابة النواب والشيوخ المنتخبين من صلاحية محكمة الاستئناف المنعقدة بهيئة محكمة نقض وابرام لا من صلاحية البرلمان . ٥ً عدم قبول الاقتراع بعدم الثقة بالوزارة الا اذا صدر عن الاغلبية المطلقة لمجموع النواب . الى غير ذلك من التعديلات التي هاج رجال الوفد بسببها ، ومال اليهم بعض الاحرار الدستوريين ، فجربوا تهييج الاهالي على الحكومة ففازوا في محيط الطلاب خصوصاً . على ان اعمالهم لم تؤثر التأثير المتوقع لما ابدت الحكومة من الحزم.

فهارس المشرق

للسنة الثامنة والعشرين

١٩٣٠

فهرس اوّل

لموادّ اعداد السنة الثامنة والعشرين من مجلة المشرق

(الرقم الاسود يدلّ على اعداد المجلة ، والرفيع على الصفحات)

العدد ١ (كانون الثاني) نقسية السلطة الشخصية ، بقلم الاب شرل ايلا اليسوعي (١ : ١-٦ ؛ ٢ : ٨٩-٩٥) = بدائع التلفون ، بقلم انطوان باز (١ : ٦-١٣ ؛ ٢ : ٩٥-١٠٤) = اصل كلمة الفصح وابن بشكوال ، بقلم الاب مرمرجي الدومنيكي (١ : ١٣-٢٤ ؛ ٢ : ١٠٤-١١١) = غرائب الارقام الهندية ، بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي (٢٤-٢٩) = اصلاح الابجدية العربية ، بقلم يوسف غصوب (٢٩-٣٥) = البكالوريا اللبنانية والتعليم المصري بقلم فؤاد افرام البستاني (١ : ٣٥-٤١ ؛ ٣ : ٢٠٩-٢١٥ ؛ ٤ : ٢٧٩-٢٩٠) = نصرانية الحارث ابن كعب ، بقلم حبيب زيّات (٤١-٤٤) = الاستقلال المدني في الكنائس الشرقية الكاثوليكية (تابع) (٤٤-٥١) = النبيون وجيرانهم ، بقلم الامير موريس شهاب (١ : ٥١-٥٦ ؛ ٢ : ١٢٥-١٣٢ ؛ ٣ : ١٩٤-٢٠٢) = امانة لبناني : حكاية لبنانية تاريخية ، بقلم فؤاد افرام البستاني (٥٦-٦٠) = مجلة المجلات ، للاب توتل اليسوعي : الانتحار الوهابيون والخلافة . دفع الاذى بالنار . الألعاب الرياضية ومضراتها (٦٠-٦٥) = شذرات : يوبيل نيافة القاصد الرسولي . يوبيل مجلة « الشرق والغرب » . شهادة غير مجروحة . المحافظة على العصافير الصغيرة . كاهن كاثوليكي من حفدة لوتير . المليار : وزنه وحجمه . منافع الملاريا . دعوى على شاعر (٦٥-٦٩) = مطبوعات شرقية جديدة (٦٩-٧٦) = اهم حوادث الشرق في شهر (٧٦-٨١)

العدد ٢ (شباط) مرّ الحياة ' بقلم القس عبد المسيح زَهر (٨١-٨٩) = دير سيدة طاميش (تابع) ' بقلم القس انطونيوس شبلي اللبناني (٢: ١١١-١١٨؛ ٣: ٢١٧-٢٢٢؛ ٤: ٢٦٢-٢٦٦) = الزهرة التركية في الحديقة الرهبانية ' بقلم الخوري يوسف المشيّني (٢: ١١٨-١٢٥؛ ٣: ٢٠٢-٢٠٩) = غاية الارب للنويري ' بقلم الاب توتل اليسوعي (١٢٢-١٤٠) = مجلة المجلات للاب توتل اليسوعي: المسيحيون على عهد السلاطين (١٥٥٣-١٥٩٢). تحرير المرأة الافغانية. ثقّفوا بناتكم. اليسوعيون والماسونية. اما البابوية ... (١٤٠-١٤٦) = شذرات: حول السفور والحجاب. ردّ على انتقاد (الدكتور فيليب حتي). فوائد الملاريا (الحكيم امين الجميّل) (١٤٦-١٤٩) = مطبوعات شرقية جديدة (١٤٩-١٥٩) = اهم حوادث الشرق في شهر (١٥٩-١٦١)

العدد ٣ (آذار) صفي القلب الاقدس ورسوله: نبذة في سيرة الاب كلود دي لا كولومبيار اليسوعي ' بقلم الاب شرل ايلا اليسوعي (٣: ١٦١-١٧٦؛ ٤: ٢٦٥-٢٧٤) = غرائب الارقام الهندية (مقال ثانٍ) بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي (١٧٦-١٨١) = الاوائل في اللغة ' بقلم سالم خليل رزق (٣: ١٨١-١٨٦؛ ٤: ٢٧٤-٢٧٩) = ابراهيم الحاقلي او الحاقلاني ' بقلم الخوري بطرس غالب (٣: ١٨٦-١٩٤؛ ٤: ٢٥٠-٢٥٩؛ ٥: ٣٤٢-٣٥١) = رسالة قديمة من رهبان دير البلمند الى مجمع الكرادلة ' نشرها الخوري قسطنطين الباشا ب. م. (٢١٥-٢١٧) = مجلة المجلات ' للاب توتل اليسوعي: البابا والارثوذكسية. نكبة ازمير الكبرى ونتائجها. تحرير المرأة التركية (٢٢٢-٢٢٨) = شذرات: جوازات السفر. من معارك العرب (٢٢٨-٢٣٠) = مطبوعات شرقية جديدة (٢٣٠-٢٣٨) = حوادث الشرق في شهر (٢٣٨-٢٤١)

العدد ٤ (نيسان) الحياة في الاجرام السماوية ' بقلم القس عبد المسيح زهر (٢٤١-٢٥٠) = مظاهر الادب العصري: طه حسين ' للمستشرق جيب (٢٥٩-٢٦٣) = نواوير الرصاص ' بقلم الامير موريس شهاب (٢٩٠-٢٩٤) = مجلة المجلات ' للاب توتل اليسوعي: بين الارثوذكس والكاثوليك. الامن في الحجاز. قسطنطينة العاصمة العلمية (٢٩٤-٢٩٥) = القيامة! حكاية ام ثكلى ' عن بول بورجيه (٤: ٢٩٩-٣٠٥؛ ٥: ٣٧٩-٣٨٥) = شذرات: محصول الشرانق في بلادنا. فحص الضمير. الاكتشاف الاثري الجديد في مصر. معدن جديد اصاب من الفولاذ (٣٠٥-٣٠٩) = مطبوعات شرقية جديدة (٣٠٩-٣١٩) = اهم حوادث الشرق في شهر (٣١٩-٣٢١)

العدد ٥ (ايار) نفوذ السيد المسيح في حياتنا الدينية ' بقلم الاب مرمرجي الدومنيكي (٣٢١-٣٣٠) = تربية دود الحرير ' بقلم الاب لويس بليبل اللبناني (٥: ٣٣٠-٣٣٦؛ ٦: ٤٤٤-٤٥٠) = دستور القضاء ' بقلم الخوري لويس الخازن (٣٣٦-٣٣٩) =

التنوير والفنّ ، بقلم انطوان باز (٣٢٩-٣٤٣) = النقد الادبي : فائدته ، طريقته العملية ، بقلم فؤاد افرام البستاني (٣٥١-٣٥٩) = انت الصفاة ! لمة في رئاسة القديس بطرس وخليفته الحبر الروماني ، بقلم الاب شرل ايلا اليسوعي (٣٥٩-٣٧١) = التذكار المئوي لاحتلال الجزائر ، بقلم الاب جبرائيل لوفنك اليسوعي (٣٧١-٣٧٩) = مجلة المجلات ، لفؤاد افرام البستاني : درس الآداب العربية الحديثة . الانفراد بالرأي في الادب (٢٨٥-٢٨٨) = شذرات : التذكار المئوي لنقل جسد القديس منصور دي پول . المحصولات في مناطق الانتداب سنة ١٩٢٨ : الحبوب ، القطن ، الدخان ، الصوف ، الزيتون (٢٨٨-٣٩٤) = مطبوعات شرقية جديدة (٣٩٤-٤٠٠) = اهم حوادث الشرق في شهر (٤٠٠)

العدد ٦ (حزيران) اين ومتى تُرجمت التوراة اليونانية السبعينية ؟ ، بقلم الخوري لويس ملحه (٤٠١-٤١٠) = العلم والدين ، بقلم منصور حنا جرداق (٤١٠-٤٢٢) = وفرة الذهب والترف في القدم ، بقلم القس عبد المسيح زهر (٤٢٢-٤٣١) = نبذة تاريخية في تنصُّر بعض الامراء اللمعيين ، للقس انطونيوس شبلي اللبناني (٦ : ٤٣١-٤٣٦ ؛ ٧ : ٤٩٦-٥٠١) = الشعر العامي ، بقلم توفيق عوّاد (٦ : ٤٣٦-٤٤٤ ؛ ٧ : ٥٠١-٥٠٩) = في مدينة العذراء ، بقلم ميشيل سليم كميد (٦ : ٤٥٠-٤٥٩ ؛ ٧ : ٥١٥-٥٢٠) = عادة التنوير في عيد القديس يوحنا المعمدان ، بقلم الخوري يوسف المشتي (٤٥٩-٤٦٢) = مجلة المجلات : الهجرة الهندية في السنة ١٩٢٠ . حول نشأة المقامات (٤٦٢-٤٦٨) = شذرات : المحصولات الداخلية في مناطق الانتداب سنة ١٩٢٨ : الفواكه ، الزيوت ، الصابون ، الحرير ، النسيج ، الجلود . مؤتمر المستشرقين الدولي الثامن عشر . أزمة الورود . لضعف الاسناد ٤٦٨-٤٧٢) = مطبوعات شرقية جديدة (٤٧٢-٤٨١)

العدد ٧ (تموز) القديس يوحنا فم الذهب وثورة انطاكية ، بقلم القس عبد المسيح زهر (٧ : ٤٨١-٤٨٧ ؛ ٨و٩ : ٦٠٩-٦١٥) = رفع المياه ، بقلم انطوان باز (٧ : ٤٨٧-٤٩٦ ؛ ٨و٩ : ٦٦٧-٦٧٥) = الاشوريون او النساطرة ، بقلم الاب فرديناند توتل اليسوعي (٥٠٩-٥١٥) = الجزائر في مائة سنة ، بقلم الشيخ سليم الدحداح (٥٢٠-٥٢٢) = بلاد البلجيك في مائة سنة ، بقلم الاب لامنس اليسوعي (٥٢٢-٥٢٤) = عنترة التاريخ وعنترة الاسطورة ، بقلم فؤاد افرام البستاني (٧ : ٥٢٤-٥٤١ ؛ ٨و٩ : ٦٣١-٦٤٨) = مجلة المجلات للاب توتل اليسوعي : مهاتما غاندي . العجل عند الدروز (٥٤١-٥٤٧) = شذرات : ما تقرأه في كتاب صغير . قمع الدخان . علم الطب وعجائب لورد (٥٤٧-٥٥٠) = مطبوعات شرقية جديدة (٥٥٠-٥٥٨) = اهم حوادث الشرق في شهر (٥٥٨-٥٦١)

العددان ٨ و ٩ (آب وايلول) ضرورة النعمة ، بقلم الاب مرجي الدومنيكي (٥٦١-٥٧١) = التذكار المئوي للرابطة الادبية الفرنساوية ، بقلم نعمة الله واسعد نعمة الله (٥٧١-٥٧٨) = تقرير السيد ده غرانجه عن بلادنا في القرن الثامن عشر ، عرّبه ونشره

الخوري بطرس غالب (٥٧٨-٥٨٨) = تعريف عن حكم جبل كسروان في اواخر القرن الثامن عشر، نشره الخوري بطرس غالب (٥٨٨-٦٠٤) = الاواخر في اللغة، بقلم سالم خليل رزق (٦٠٤-٦٠٩) = حسن علوان الدرزية، بقلم القس انطونيوس شبلي (٨و٩: ٦١٥-٦٢٦؛ ١٠: ٧٦٣-٧٦٩) = اول مسافر اوربي في مكة، بقلم الاب لامنس اليسوعي (٦٢٦-٦٣١) = الثورة العربية في الحرب الكبرى، بقلم الاب توتل اليسوعي (٦٤٨-٦٥٩) = سرّ هرم الملك خوفو، بقلم القس عبد المسيح زهر (٦٥٩-٦٦٧) = القاتل، رواية للاب توتل اليسوعي (٦٧٥-٦٩٧) = مجلة المجلات: البابا والهند. دير قزحيا. الرقي المصري والمسلمون (٦٩٧-٧٠١) = شذرات: حول الحجّ الى مكة. سورية طريق الهند. شيطان السرعة. مفردات جديدة في اللغة التركية. التذكار المئوي لأول سكة حديد تجارية (٧٠١-٧٠٤) = مطبوعات شرقية جديدة (٧٠٤-٧١٩) = اهم حوادث الشرق في شهر (٧١٩-٧٢١)

العدد ١٠ (تشرين الاول) ترجمة البطريرك بولس مسعد، بقلم المطران اغوسطين البستاني (٧٢١-٧٣٤) = كتاب الشفعة من الجامع الكبير في الشروط، بقلم جرجس بك صفا (٧٣٤-٧٣٩) = نظرة في حاضر الاسلام، بقلم الاب لامنس اليسوعي (١٠: ٧٣٩-٧٤٤؛ ١١: ٨٣٦-٨٤٠) = صفحة من تاريخ الرهبانية الباسيلية الشويرية، بقلم الاب اثناسيوس حاج ق. ب. (١٠: ٧٤٤-٧٥١؛ ١١: ٨٢٧-٨٣٦؛ ١٢: ٩١٤-٩٢٢) = شخصية الحطيئة الادبية، بقلم فؤاد افرام البستاني (٧٥١-٧٦٠) = ضيافة بدوية، قصيدة قصصية للحطيئة (٧٦٠-٧٦٣) = لماذا تدخنون؟ بقلم فؤاد افرام البستاني (٧٦٩-٧٧٣) = السجون ونظام التأديب، بقلم الاب توتل اليسوعي (١٠: ٧٧٣-٧٨٣؛ ١١: ٨٤٠-٨٥٠؛ ١٢: ٩٠٥-٩١٤) = مجلة المجلات للاب توتل اليسوعي: احمد تيمور باشا. ظهور الجبل في شمالي افريقية (٧٨٣-٧٨٧) = شذرات: جحيم المشاة. انتشار السينما. من المسرح الى الدير (٧٨٧-٧٨٩) = مطبوعات شرقية جديدة (٧٨٩-٧٩٧) = اهم حوادث الشرق في شهرين (٧٩٧-٨٠١)

العدد ١١ (تشرين الثاني) ينبوع النعمة، بقلم الاب مرجي الدومنيكي (٨٠١-٨١١) = الفن والاخلاق، بقلم نصرالله واسعد نصرالله (٨١١-٨٢١) = الاحوال الشخصية، بقلم الخوري بطرس غالب (١١: ٨٢١-٨٢٧؛ ١٢: ٨٩١-٨٩٨) = الاب لورنسيوس الحيمري الديراني، بقلم الاب لويس الحداري (١١: ٨٥٠-٨٥٥؛ ١٢: ٩٢٢-٩٢١) = بعض مظاهر الشعر المصري، بقلم فؤاد افرام البستاني: الشعر التمثيلي (١١: ٨٥٥-٨٦٣) = الروايات التاريخية في الادب المصري، لاغناطيوس كراتشقوفسكي (٨٦٣-٨٦٧) = شذرات: الحياة النقية في قبرص. اهتداء خطير الى الكثلكة. احصائيات مصرية (٨٦٧-٨٧١) = مطبوعات شرقية جديدة (٨٧١-٨٨١)

العدد ١٢ (كانون الاول) مفاعيل النعمة وموقفنا تجاهها، بقلم الاب سرجي الدومنيكي (٨٨١-٨٩١) = حول صناعة التنجيم، بقلم القس عبد المسيح زَهر (٨٩٨-٩٠٥) = آخر الازياء الادبية في الغرب : الشرق وخبط بعض الاجانب في فهمه، بقلم فؤاد افرام البستاني (٩٣١-٩٣٦) = مجلة المجلات : بين المرّي والخيام. الادب وخلوده. المدنية والتجارة المصرية (٩٣٦-٩٤٣) = شذرات : عادات الاردنيين في الامراض. التذكار المئوي لظهور الايقونة العجائبية. حياة محمد في السينما، وآي القرآن في الفونوغراف. شهادة غير مجروحة. نقص معدّل المهاجرة (٩٤٣-٩٤٧) = مطبوعات شرقية جديدة (٩٤٧-٩٥٩) = اهم حوادث الشرق في شهر (٩٥٩-٩٦١) = فهارس المشرق (٩٦١).

فهرس ثان

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

ايلا (الاب شرل اليسوعي) : تنمية السلطة الشخصية ١-٦ : ٨٩-٩٥ – صفي القلب الاقدس ورسوله : الطوباوي كلود دي لا كولومبيار اليسوعي ١٦١-١٧٦ ؛ ٢٦٥-٢٧٤ – «ذات الصفاقة» ٢٥٩-٢٧١– وله وصف مطبوعة ٩٥٦

اندري (الاب ج. س. اليسوعي) : له وصف مطبوعات ٢١١ : ٢١٣

باز (انطوان) : بدائع التلفون ٦-١٢ ؛ ٩٥-١٠٤ – التنوير والفن ٢٢٩-٢٤٢ – رفع المياه ٤٨٧-٤٩٦ ؛ ٦٦٧-٦٧٥ – وله وصف مطبوعة ٨٨٠

الباشا (الخوري قسطنطين) : رسالة قديمة من رهبان دير البلمند الى مجمع الكرادلة ٢١٥-٢١٧

البستاني (المطران اغوسطين) : ترجمة البطريرك بولس مسعد ٧٢١-٧٢٤

البستاني (فؤاد افرام) : البكالوريا اللبنانية والتعليم المصري ٣٥-٤١ ؛ ٢٠٩-٢١٥ ؛ ٢٧٩-٢٩٠ – امانة لبناني ٥٦-٦٠ – النقد الادبي ٢٥١-٢٥٩ – عنترة التاريخ وعنترة الاسطورة ٥٢٤-٥٤١ ؛ ٦٢١-٦٤٨ – شخصية الحطيئة الادبية ٧٥١-٧٦٠ – لماذا تدخّنون ؟ ٧٦٩-٧٧٣ – بعض مظاهر الشعر المصري : الشعر التمثيلي ٨٥٥-٨٦٣ – آخر الازياء الادبية في الغرب : الشرق وخبط بعض الاجانب في فهمه ٩٢١-٩٢٦ – وله مجلة المجلات ٢٨٥-٢٨٨ : ٤٦٥ ؛ ٩٣٦-٩٤١ – له وصف مطبوعات ١٥٥-١٥٧ : ٢٢٦ ؛ ٢٢٧ ؛ ٢١٦ : ٢٩٨ - ٤٤٠ ؛ ٥٥٧ ؛ ٥٥٨ ؛ ٧١٥ ؛ ٧١٦ ؛ ٧١٧: ٧٩٥: ٧٩٦ ؛ ٨٧٩ ؛ ٩٥٣ : ٩٥٥ ؛ ٩٥٨- ولـه تعريبات وشذرات شتى

بليبل (الاب اغناطيوس) : رسالة في تذمّر بعض الامراء اللمعيين ٤٣١-٤٣٦